بلقيس ملكة سبأ

قصص النساء في القرآن

[10] بلقيس ملكة سبأ

وقد ورد ذكرها في قوله تعالى: {إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾} [النمل: ٢٣]، وهي بلقيس بنت شراحيل، غلبت على المُلك بعد أبيها، وكان قومها يعبدون الشمس، وعرشها كان من ذهب وفضة مكلل بأنواع الجواهر.

***

موجز القصة:

هي بلقيس بنت البشرخ، وهو الهذهاذ، وقيل: شراحيل بن ذي جدن بن البشرخ بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكان أبوها من أكابر الملوك، وكان يأبى أن يتزوج من أهل اليمن، فيقال: إنه تزوج بامرأة من الجن اسمها ريحانة بنت الشكر؛ فولدت له هذه المرأة واسمها بلعمة ويقال لها: بلقيس. وهناك اختلاف كبير بين المراجع التاريخية في تحديد اسم ونسب هذه الملكة الحِمْيَرية اليمانية، كما أنه لا يوجد تاريخ لسنة ولادتها ووفاتها.

كانت بلقيس سليلة حسبٍ ونسب؛ فأبوها كان ملكاً، وقد ورثت الملك بولاية منه؛ لأنه على ما يبدو لم يرزق بأبناء بنين، لكن أشراف وعلية قومها استنكروا توليها العرش وقابلوا هذا الأمر بالازدراء والاستياء، فكيف تتولى زمام الأمور في مملكة مترامية الأطراف مثل مملكتهم امرأة، أليس منهم رجلٌ رشيد؟

وكان لهذا التشتت بين قوم بلقيس أصداء خارج حدود مملكتها،

فقد أثار الطمع في قلوب الطامحين الاستيلاء على مملكة سبأ، ومنهم الملك عمرو بن أبرهة الملقب بذي الأذعار؛ فحشر ذو الأذعار جنده وتوجه ناحية مملكة سبأ للاستيلاء عليها وعلى ملكتها بلقيس، إلا أن بلقيس علمت بما في نفس ذي الأذعار فخشيت على نفسها، واستخفت في ثياب أعرابي ولاذت بالفرار.

وعادت بلقيس بعد أن عم الفساد أرجاء مملكتها فقررت التخلص من ذي الأذعار، فدخلت عليه ذات يوم في قصره وظلت تسقيه الخمر وهو ظانٌ أنها تسامره وعندما بلغ الخمر منه مبلغه، استلت سكيناً وذبحته بها وعلقت رأسه على بابها. إلا أن رواياتٍ أخرى تشير إلى أن بلقيس أرسلت إلى ذي الأذعار وطلبت منه أن يتزوجها بغية الانتقام منه، وهذا ما ذكره العلامة ابن كثير في قصة سليمان بن داود عليهما السلام.

وعندما دخلت عليه فعلت فعلتها التي في الرواية الأولى، وهذه الحادثة هي دليلٌ جليّ وواضح على رباطة جأشها وقوة نفسها، وفطنة عقلها وحسن تدبيرها للأمور، وخلصت بذلك أهل سبأ من شر ذي الأذعار وفساده، وازدهر زمن حكم بلقيس مملكة سبأ أيمّا ازدهار، واستقرت البلاد أيمّا استقرار، وتمتع أهل اليمن بالرخاء والحضارة والعمران والمدنية.

كما حاربت بلقيس الأعداء ووطدت أركان ملكها بالعدل وساست قومها بالحكمة؛ ومما أذاع صيتها وحبها إلى الناس قيامها بترميم سد مأرب الذي كان قد نال منه الزمن وأهرم بنيانه وأضعف أوصاله..... **وبلقيس هي أول ملكة اتخذت من سبأ مقراً لحكمها.**

ورد ذكر الملكة بلقيس في القرآن الكريم، فهي صاحبة الصرح المُمَرد من قوارير وذات القصة المشهورة مع النبي سليمان بن داود عليهما السلام في سورة النمل، **وقد كان قوم بلقيس يعبدون الأجرام السماوية والشمس على وجه الخصوص**، وكانوا يتقربون إليها بالقرابين، ويسجدون لها من دون الله عز وجل، وهذا ما لفت انتباه الهدهد الذي كان قد بعثه سليمان - عليه السلام - ليبحث عن موردٍ للماء.

وبعد الوعيد الذي كان قد توعده سليمان إياه لتأخره عليه بأن يعذبه إن لم يأت بعذرٍ مقبول عاد الهدهد وعذره معه{أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ} [النمل: ٢٢]؛ فقد وجد الهدهد أن أهل سبأ على الرغم مما آتاهم الله عز وجل من النعم إلا أنهم{يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ} [النمل: ٢٤].

وهنا وقفة يجب الإشارة إليها: وهي أن هذا الهدهد عرف قضية التوحيد؛ وأنه لا يجوز لأحد كائن من كان أن يعبد غير الله تعالى؛ فيجب على كل مؤمن أن يؤمن بالله عز وجل ولا يعبد غيره، وسوف أشير إلى هذا المعنى إن شاء الله تعالى في آخر هذه القصة.

فما كان من سليمان - عليه السلام - المعروف بكمال عقله وسعة حكمته إلا أن يتحرّى صدق كلام الهدهد، فقال:{سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ} [النمل: ٢٧]، وأرسل إلى بلقيس ملكة سبأ بكتابٍ يتضمن دعوته لهم إلى طاعة الله ورسوله والإنابة، والإذعان، وأن يأتوه مسلمين خاضعين لحكمه وسلطانه، ونصه{إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾} [النمل: ٣٠ - ٣١].

كانت بلقيس حينها جالسة على سرير مملكتها المزخرف بأنواع

من الجواهر واللآلئ والذهب مما يسلب الألباب ويذهب بالمنطق والأسباب، ولما عُرف عن بلقيس من رجاحة وركازة العقل فإنها جمعت وزراءها وعلية قومها، وشاورتهم في أمر هذا الكتاب، في ذلك الوقت كانت مملكة سبأ تشهد من القوة ما يجعل الممالك الأخرى تخشاها، وتحسب لها ألف حساب. فكان رأي وزرائها{نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ} [النمل: ٣٣] في إشارةٍ منهم إلى اللجوء للحرب والقوة. إلا أن بلقيس صاحبة العلم والحكمة والبصيرة النافذة ارتأت رأياً مخالفاً لرأيهم؛ فهي تعلم بخبرتها وتجاربها في الحياة أن{إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} [النمل: ٣٤].

وبصرت بما لم يبصروا ورأت أن ترسل إلى سليمان بهديةٍ مع علية قومها وقلائهم، علّه يلين أو يغير رأيه، منتظرةٌ بما يرجع المرسلون، ولكن سليمان - عليه السلام - رد عليهم برد قوي منكر صنيعهم ومتوعد إياهم بالوعيد الشديد قائلاً:{أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ} [النمل: ٣٦].

عندها أيقنت بلقيس بقوة سليمان وعظمة سلطانه، وأنه لا ريب نبي من عند الله - عز وجل -، فجمعت حرسها وجنودها واتجهت إلى الشام حيث سليمان - عليه السلام -، وكان عرش بلقيس وهي في طريقها إلى سليمان - عليه السلام - مستقراً عنده، فقد أمر جنوده بأن يجلبوا له عرشها، فأتاه به رجلٌ عنده علم الكتاب قبل أن يرتد إليه طرفه. ومن ثم غّير لها معالم عرشها، ليعلم أهي بالذكاء والفطنة بما يليق بمقامها وملكها.

ومشت بلقيس على الصرح الممرد من قوارير والذي كان ممتداً على عرشها، إلا أنها حسبته لجةً فكشفت عن ساقيها وكانت مخطئة

بذلك عندها عرفت أنها وقومها كانوا ظالمين لأنفسهم بعبادتهم لغير الله تعالى، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

وقال بعض أهل السير والتاريخ: إن سليمان - عليه السلام - تزوج من بلقيس، وأنه كان يزورها في سبأ بين الحين والآخر، وأقامت معه سبع سنين وأشهراً، وتوفيت فدفنها في تدمر. وتعلل المراجع سبب وفاة بلقيس أنها بسبب وفاة ابنها رَحْبَم بن سليمان، وقد ظهر تابوت بلقيس في عصر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك وعليه كتابات تشير إلى أنها **ماتت لإحدى وعشرين سنة خلت من حكم سليمان**. وفتح التابوت فإذا هي غضّة لم يتغير جسمها، فرفع الأمر إلى الخليفة فأمر بترك التابوت مكانه وبنى عليه الصخر.

إن الملكة بلقيس ما كان لها هذا الشأن العظيم لولا اتصافها برجاحة العقل وسعة الحكمة وغزارة الفهم؛ فحسن التفكير وحزم التدبير أسعفاها في كثيرٍ من المواقف الصعيبة والمحن الشديدة التي تعرضت لها هي ومملكتها؛ ومنها قصتها مع الملك ذي الأذعار الذي كان يضمر الشر لها ولمملكتها، ولكن دهاءها وحنكتها خلصاها من براثن ذي الأذعار، وخلص قومها من فساده، وطغيانه وجبروته.

كما أنها عرفت بحسن المشاورة إلى جانب البراعة في المناورة، فهي لم تكن كبقية الملوك متسلطة في أحكامها، متزمتة لآرائها، لا تقبل النقاش أو المجادلة، بل كانت كما أجرى الله على لسانها{قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾} [النمل: ٣٢]، وذلك على الرغم من أنه كان بمقدورها أن تكتفي برأيها وهي الملكة العظيمة صاحبة الملك المهيب؛ فهي ببصيرتها النيّرة كانت ترى أبعد من مصلحة الفرد، فهّمها كان فيما يحقق مصلحة الجماعة.

كانت بلقيس فطينة رزينة، وكانت فطنتها نابعة من أساس كونها امرأة، فالمرأة خلقها الله - عز وجل - وجعلها تتمتع بحاسة تمكنها من التبصر في نتائج الأمور وعواقبها. والشاهد على ذلك أنه كان لبلقيس - كعادة الملوك - عدد كبير من الجواري اللاتي يقمن على خدمتها، فإذا بلغن استدعتهن فرادى، فتحدث كل واحدة عن الرجال فإن رأت أن لونها قد تغير فطنت إلى أن جاريتها راغبة في الزواج، فتُزوجها بلقيس رجلاً من أشراف قومها وتكرم مثواها، أما إذا لم تضطرب جاريتها ولم تتغير تعابير وجهها، فطنت بلقيس إلى أنها عازفة عن الرجال، وراغبة في البقاء عندها ولم تكن بلقيس لتقصر معها.

ومن أمارات فطنتها أيضا أنه لما ألقي عليها كتاب سليمان علمت من ألفاظه أنه ليس ملكاً كسائر الملوك، وأنه لا بد وأن يكون رسول كريم وله شأنٌ عظيم؛ لذلك خالفت وزراءها الرأي عندما أشاروا عليها باللجوء إلى القوة، وارتأت بأن ترسل إلى سليمان بهدية، وكان المراد من وراء هذه الهدية ليس فقط لتغري وتلهي سليمان - عليه السلام - بها، وإنما لتعرف أتغير الهدية رأيه وتخدعه؟ ولتتفقد أحواله وتعرف عن سلطانه وملكه وجنوده.

ومن علامة ذكائها أيضا أن سليمان - عليه السلام - عندما قال لها متسائلاً{أَهَكَذَا عَرْشُكِ} [النمل: ٤٢]، قالت:{كَأَنَّهُ هُوَ}، ولم تؤكد أنه هو لعلمها أنها خلفت عرشها وراءها في سبأ ولم تعلم أن لأحد هذه القدرة العجيبة على جلبه من مملكتها إلى الشام، كما أنها لم تنفِ أن يكون هو؛ لأنه يشبه عرشها لولا التغيير والتنكير الذي كان فيه.

كثيرةٌ هي القصص المذكورة في القرآن عن أقوامٍ لم يؤمنوا

برسل الله تعالى وظلوا على كفرهم على الرغم مما جاءهم من العلم، إلا أن بلقيس وقومها آمنوا برسول الله سليمان - عليه السلام - ولم يتمادوا في الكفر بعدما علموا أن رسالته هي الحق وأن ما كانوا يعبدون من دون الله كان باطلاً.

واعترفت بلقيس بأنها كانت ظالمة لنفسها بعبادتها لغير الله{قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [النمل: ٤٤].

يستفاد من هذه القصة ما يلي:

أولا: يجب على الداعي أول ما يدعو؛ يدعو إلى عبادة الله تعالى الواحد الأحد؛ ووجه ذلك أن سليمان على نبينا وعليه وعلى أبيه السلام أول ما دعا هذه المرأة دعاها إلى التوحيد؛ قال الله عز وجل: {أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾} [النمل: ٣١]؛ أي: موحدين لله عز وجل مستسلمين لأمره سبحانه وتعالى في كل شيء.

وهذا التوحيد هو الذي جاء به الرسل عليهم السلام؛ فكل رسول كان يدعو إلى عبادة الله تعالى؛ قال تعالى:{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾} [الأعراف: ٥٩].

فهذا التوحيد هو دعوة الأنبياء إلى أممهم، وهو وصية الأنبياء لكل مسلم، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ ☺ عندما بعثه إلى اليمين:"**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله -.**

قال العلامة الفوزان معلقًا على هذا: ينبغي على الداعي إلى الله

تعالى أول ما يدعو، يدعو إلى العقيدة؛ لأنها هي الأساس الذي يقوم عليه الدين؛ ويظهر ذلك في قوله:"**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله** صلى الله عليه وسلم -، ولذلك يجب على الداعي والخطيب والإمام ومن له باع في الدين أن يهتم بجانب العقيدة في محاضراته.

ثانيًا: يجب على كل إنسان أن يهتم بموضوع العقيدة؛ فهي حياة الدين، وهي رأسه، فإذا انهدمت العقيدة فلا نجاة للإنسان مهما كان عمله.

قال يحي بن عمار وهو من العلماء الأبرار المتوفى 422 هـ شيخ سجسته انظر السير (ج 17 / 482)، وفي هذا المكان قوله الذي سيذكر، ونقله عنه شيخ الإسلام في ج 10 / 45: العلوم خمسة:

الأول: **علم تحصل به حياة الدين، وهو علم العقائد.**

الثاني: علم هو قوت الدين؛ وهو علم الموعظة والتذكير؛ وحقيقة القلوب لا بد لها من ترغيب وترهيب

الثالث: وعلم هو دواء الدين، وهو علم الفقه.

الرابع: علم هو داء الدين؛ وذكر أخبار ما جرى بين سلفنا الكرام من خلاف مع بعضهم.

الخامس: علم هو هلاك الدين؛ وهو علم الكلام والفلسفة.

فهذا الهدهد انتبه إلى ملكة سبأ؛ ووجدها تسجد هي وقومها للشمس من دون الله عز وجل فحزن حزنًا شديدًا على هذا.

حزن لضياع التوحيد عند هذه المرأة وقومها.

ثالثًا: قد يقول قائل: كيف أهتم بعلم العقيدة؟

قلت: هذا سؤال في غاية الأهمية؛ فلا بد للإنسان أن يعرف ما هي العقيدة، وما هي أركانها، وما....

وسوف أشير بفضل الله تعالى ومننه وفضله إلى الإجابة على هذا السؤال بشيء من الاختصار مع التوضيح؛ حتى لا تقرأ قصة ملكة سبا من القرآن ولا تخرج بشيء؛ **فالمهم في القصة أن تكون عبرة لك وأن تعمل بما تضمنتها من أمور الدين.**

أقول وبالله التوفيق:

العقيدة (الإيمان) لغة: هي العلم الذي يبحث فيما يجب على الإنسان أن يعتقده ويؤمن به، أو هي الأدلة والبراهين التي تفيد اليقين، ولفظ العقيدة لم يكن موجودًا في القرون المتقدمة، وإنما استحدثه أهل العلم ليبينوا للناس ما كان عليه أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك بعد وقوع طائفة من الناس في الضلال والانحراف؛ وتطلق العقيدة على الإيمان، وهو الإقرار بالشيء عن تصديق به؛ قال تعالى على لسان إخوة يوسف عليه السلام:{وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ} [يوسف: ١٧]؛ أي: وما أنت بمقر لنا بما قلناه عن تصديق، وليس معنى الإيمان مجرد التصديق؛ إذاً فالإيمان يتضمن معني زائدا على مجرد التصديق؛ فإذا قال قائل: أنا مؤمن بأن الله تعالى موجود؛ فهذا ليس إيمان حتى يكون هذا الإيمان مستلزما للقبول والإذعان في الأحكام، وإلا فليس إيمانا.

وأما في الشريعة: فلإطلاقه حالتان؛ الأولى: أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام فحينئذ يراد به الدين كله، القول والعمل.

والثانية: أن يطلق مقروناً بالإسلام، وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل وما في معناه؛ كقوله تعالى:{ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ} [البقرة: ٨٢]؛ فقوله تعالى:{ءَامَنُواْ}؛ أي: اعتقدوا بقرارة قلبهم، وعملوا الصالحات باللسان وبالجوارح؛ باللسان كالنطق بالشهادتين،وبالجوارح كالصلاة والزكاة والحج ونحو ذلك.

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم :"**اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان** - [1]؛ وذلك أن الأعمال بالجوارح إنما يتمكن منها في الحياة أما عند الموت فلا يبقى غير قول القلب وعمله.

وهل الإيمان تصديق القلب وإقراره واعترافه فقط، أو هو شامل للتصديق وملزوماته أو مستلزماته؟

والجواب: الإيمان لغة هو التصديق بالقلب، ولكن معناه في الشرع أوسع من معناه في اللغة؛ وهذا من الغرائب لأن القاعدة المطردة أن المصطلح الشرعي أضيق من المصطلح اللغوي؛ فالطهارة لغة هي النظافة (وهذا عام) أما شرعًا فهي استعمال الماء في أعضاء مخصوصة بنية مخصوصة (وهذا ضيق).

فالإيمان في اللغة لا يشمل الأعمال الظاهرة، أما في الشرع فيشمل ثلاثة أشياء على مذهب أهل السنة والجماعة.

الأول: إعتقاد؛ وهو إقرار القلب بأركان الإيمان ومستلزماته؛ ومن أمثلة أعمال القلوب: الحياء، والخوف، والرجاء، والحب،...

(1) قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الألباني: وهو كما قالا، تخريج المشكاة 1675.

الثاني: القول؛ وهو التلفظ بقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله ومستلزمات ذلك.

الثالث: العمل؛ كأداء الصلاة، والزكاة، والحج، والصيام، وسائر عبادات البدن.

وخالف في ذلك طائفتان؛ الأولى: المرجئة (جهمية، جبرية)؛ فالمرجئة والجهمية والجبرية كلها موصوف لمسمى واحد.

فالجهمية: هم باعتبار صفات الله تعالى؛ أنكروا الصفات وعطلوها.

والجبرية: هم باعتبار أفعال العبد؛ فقالوا: إن الإنسان مجبر على عمله لا يستطيع أن يتخلص منه.

المرجئة: قالوا: إن الإيمان مجرد اعتقاد بالقلب فقط؛ فمن كان عنده اعتقاد تام فهو مؤمن تام الإيمان، وإن زنا وسرق وقتل..... وهذا هو الذي عناهم ابن القيم بقوله:

والناس في الإيمان شيء واحد ::: كالمشط عند تماثل الأسنان

فهؤلاء يقولوا: فاعل الكبيرة مؤمن كامل الإيمان لا يستحق أن يدخل النار ولا يستحق العقاب؛ وهم في هذا يقولون بلسان حالهم: إن الحدود التي شرعها الله تعالى للزاني والقاتل وشارب الخمر والقاذف، ونحو ذلك من العقوبات عبث.

لم؟

لأنه طالما الإنسان مقر بقلبه بأركان الإيمان فهو مؤمن فلماذا هذه العقوبات طالما أن الإنسان مقر؟

وهذا إن دل فإنه يدل على السفاهة؛ قال الله تعالى:{أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾} [الجاثية: ٢١].

وقال تعالى:{ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾} [الزمر: ٩]؛ فهل الذي يحذر الآخرة كمن ليس كذلك، هل يستوي فاعل الصلاة مع تارك الصلاة؟ ساء ما يحكمون.

وهؤلاء نقول لهم: باعتقادكم هذا فإبليس الملعون مؤمن كامل الإيمان، وفرعون عليه لعنة الله تعالى مؤمن كامل الإيمان؛ لأن إبليس وفرعون عندهم اعتقاد كامل في ربوبية الله تعالى.

والذي دعاهم إلى هذا القول أمران؛ الأول: أنهم غلبوا جانب الرجاء على جانب العقوبة، وكان هذا من ضمن تسميتهم بهذا الاسم.

الأمر الثاني: أنهم ألغوا الوصف الموجود في الكتاب والسنة واعتبروا وصفًا مفقودًا لا يوجد في الكتاب ولا يوجد في السنة.

فمثلاً: قال الله تعالى:{ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا } [النساء: ٩٣]؛ فقالوا: هذا للكافر؛ فيكون المعنى على معتقدهم{ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا } [النساء: ٩٣]، وهو كافر.

وهذا تحريف؛ لأن الله تعالى علق هذه العقوبة على القتل؛ فهم ألغوا هذا الوصف وأتوا بوصف من عندهم مفقود في النص وهو الكفر؛ فهل قال الله تعالى ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا وهو كافر فجزاؤه جهنم...

كذلك قالوا في قوله صلى الله عليه وسلم :"**بين الرجل والكفر والشرك ترك الصلاة** -؛ قالوا: من جحدها؛ فألغوا الوصف النصي وهو ترك الصلاة، وأتوا بوصف مفقود، وهو الجحود.

ثم نقول لهم: هل لو جحد الصلاة وصلى يكون مسلمًا؟

بالطبع: لا.

وعلى هذا أحبتي في الله عقيدتنا نحن؛ عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بخمس نونات [1]:

الأولى: الإيمان قول باللسان.

الثانية: وعمل بالأركان.

الثالثة: واعتقاد بالجنان.

الرابعة: يزيد بطاعة الرحمن.

الخامسة: ينقص بطاعة الشيطان.

أركان الإيمان؛ أركان الإيمان ستة؛ الأول: الإيمان بالله تعالى.

والإيمان بالله تعالى يتضمن أربع أركان؛ الأول: الإيمان بوجوده.

الثاني: الإيمان بربوبيته: وهو ما يسميه أهل العلم: توحيد الربوبية.

وتوحيد الربوبية له أركان؛ أولاً: الاعتقاد بأن الله تعالى هو الخالق.

وهذا يتضمن الاعتقاد بأن الله تعالى هو الرازق والمحيي

(1) انظر شرح لمعة الاعتقاد، لفضيلة العلامة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

والمميت و...

ثانيًا: الاعتقاد بأن الله تعالى هو المالك.

ثالثًا: الاعتقاد بأن الله تعالى هو المدبر.

الثاني: الإيمان بألوهيته: وهو ما يسميه أهل العلم: توحيد الألوهية.

الثالث: الإيمان بأسمائه وصفاته: وهو ما يسميه أهل العلم: توحيد الأسماء والصفات.

الثاني من أركان الإيمان: الإيمان بالملائكة.

الثالث: الإيمان بالكتب المنزلة.

الرابع: الإيمان بالرسل.

الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

السادس: الإيمان بالقضاء والقدر.

هذه هي أركان الإيمان على وجه الإجمال؛ والآن هيا بنا أخي طالب العلم نتعرض لها بشيء من التفصيل الغير ممل.

وسوف أشير إلى ركنين فقط بالشرح المبسط حتى تكتمل الفائدة، وأنا اخترت هذين الركنين لأن قصة ملكة سبأ تضمنتهما؛ فالهدد عرف قضية التوحيد (وهو الإيمان بالله تعالى)، والذي عنده علم من الكتاب دعا الله تعالى باسمه الأعظم فاستجاب له فجاءت الملائكة بالعرش، وهذا يجعلنا أن نتكلم عن هذا الركن العظيم (الإيمان بالملائكة) وأرجو ألا تمل؛ فكما قال علماؤنا: العقيدة هي حياة الدين:

أولاً: الإيمان بالله تعالى:

الإيمان بالله تعالى يتضمن ما يلي؛ أولاً: الإيمان بوجوده؛ وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى موجود؛ فهو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية.

وهناك أدلة كثيرة تدل على وجود الله تعالى ذكر الفخر الرازي رحمه الله تعالى منها ألف دليل، ونحن نذكر منها هنا شيء يسير حتى لا يمل طالب العلم، ولكن قبل أن نعرف الأدلة على وجود الله تعالى فهناك أربع أسئلة يجب الإجابة عنها:

السؤال الأول: هل هذا الكون وهم وخيال؟

والجواب: بالطبع هذا محال أن يتخيله العقل؛ بل الكون الذي نعيش فيه حقيقة.

السؤال الثاني: هل هذا الكون نشأ وحده من عدم؟

والجواب: بالطبع هذا محال أن يتصوره العقل.

السؤال الثالث: هل هذا الكون أذلي؛ بمعنى ليس لنشأته بداية؟

والجواب: بالطبع هذا محال أن يتصوره العقل.

السؤال الرابع: هل هذا الكون له خالق أبدعه وصوره؟

والجواب: بالطبع نعم فهذا يتصوره العقل ويرضاه.

وبعد هذه الأسئلة والأجوبة عليها نستعرض معًا بعض الأدلة التي تدل على وجود الله عز وجل؛ الدليل الأول: قول الله تعالى على ألسنة رسله:{قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ} [إبراهيم: ١٠].

الثاني: إجابة موسى عليه السلام على أسئلة فرعون؛ قال الله تعالى في كتابه العزيز:{قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ } [الشعراء: ٢٣ - ٢٨].

الثالث: قول إبراهيم خليل الله عليه السلام للنمرود: {رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ} [البقرة: ٢٥٨]، وقوله تعالى: {فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ} [البقرة: ٢٥٨].

الرابع: ما ثبت في الصحيحين عن جبير بن مطعم ☺ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: {أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾} [الطور: ٣٥ - ٣٧]، كاد قلبي أن يطير.

الخامس: استدلال الإمام أبي حنيفة بسير الموجودات وفق تدبير ونظام محكم وأن ذلك لا يمكن حدوثه بدون رب قادر مدبر، وضرب لذلك مثلاً بالسفينة التي تسير دون قائد، وتنقل البضائع، هل يعقل ذلك؟

السادس: إجابة الإمام مالك لمّا سأله الرشيد مستدلاً باختلاف الأصوات والنغمات واللغات.

السابع: استدلال الإمام الشافعي بورق التوت تأكله الدود فيخرج من الحرير وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبقر والأنعام فتلقيه بعرًا وروثاً.

الثامن: استلال الإمام أحمد بخروج الديك من البيضة، وذلك بمقام خروج حيوان ذي سمع وبصر وصوت وشكل حسن من حصن

أملس ليس له منفذ، هل يحدث ذلك بلا خالق؟

التاسع: استدلال الأعرابي بالسماء ذات الأبراج والأرض ذات الفجاج والبحار ذات الأمواج وأن دلالة ذلك على الله عز وجل من باب دلالة الأثر على المؤثر، ومثل لذلك بدلالة الأثر على المسير والبعر على البعير.

العاشر: المعجزات التي أيد الله تعالى بها رسله، ولكن قد يقول قائل: نحن ما رأينا هذه المعجزات، نقول له: أمامك معجزة القرآن الكريم الخالدة إلى أن تقوم الساعة، وكذلك الحياة التي تراها أمامك هل يعقل أن لا واجد لها.

ثانيًا: الإيمان بربوبيته؛ أي: الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو الخالق المالك المدبر؛ وهو ما يسميه أهل العلم: توحيد الربوبية.

وتوحيد الربوبية له أركان؛ أولاً: الاعتقاد بأن الله تعالى هو الخالق؛ والخلق هو الإيجاد من عدم؛ وهذا يتضمن الاعتقاد بأن الله تعالى هو الرازق والمحيي والمميت، و.....

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى: الله تعالى وحده هو الخالق لا خالق سواه؛ قال الله تعالى{هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [فاطر: ٣]، وقال تعالى مبينا بطلان آلهة الكفار{ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾} [النحل: ١٧]؛ فالله تعالى وحده هو الخالق خلق كل شيء فقدره تقديرا وخلقه يشمل ما يقع من مفعولاته وما يقع من مفعولات خلقه أيضا.

ولهذا كان من تمام الإيمان بالقدر أن تؤمن بأن الله تعالى خالق لأفعال العباد كما قال الله تعالى{ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: ٩٦]؛

ووجه ذلك أن فعل العبد من صفاته والعبد مخلوق لله وخالق الشيء خالق لصفاته.

ووجه آخر أن فعل العبد حاصل بإرادة جازمة وقدرة تامة والإرادة والقدرة كلتاهما مخلوقتان لله عز وجل وخالق السبب التام خالق للمسبب.

فإن قال قائل: كيف نجمع بين إفراد الله عز وجل بالخلق مع أن الخلق قد يثبت لغير الله كما يدل عليه قول الله تعالى{فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ} [المؤمنون: ١٤]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم في المصورين يقال لهم:**"أحيوا ما خلقتم ؟ -.**

قلنا: أن غير الله تعالى لا يخلق كخلق الله؛ فلا يمكنه إيجاد معدوم ولا إحياء ميت وإنما خلق غير الله تعالى يكون بالتغيير وتحويل الشيء من صفة إلى صفة أخرى، وهو مخلوق لله عز وجل؛ فالمصور مثلا إذا صور صورة فإنه لم يحدث شيئا.

غاية ما هنالك أنه حول شيئا إلى شيء كما يحول الطين إلى صورة طير أو صورة جمل وكما يحول بالتلوين الرقعة البيضاء إلى صورة ملونة فالمداد من خلق الله عز وجل والورقة البيضاء من خلق الله عز وجل هذا هو الفرق بين إثبات الخلق بالنسبة إلى الله عز وجل وإثبات الخلق بالنسبة إلى المخلوق وعلى هذا يكون الله سبحانه وتعالى منفردا بالخلق الذي يختص به.

ثانيًا: الاعتقاد بأن الله تعالى هو المالك؛ فالله تعالى وحده هو المالك كما قال الله تعالى:{تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١} [الملك: ١]، وقال تعالى:{قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ

عَلَيْهِ} [المؤمنون: ٨٨]؛ فالمالك الملك المطلق العام الشامل هو الله سبحانه وتعالى وحده، ونسبة الملك إلى غيره نسبة إضافية فقد أثبت الله عز وجل لغيره الملك كما في قوله تعالى:{أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ} [النور: ٦١]، وقوله{إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ} [المؤمنون: ٦]، لكن هذا الملك ليس كملك الله عز وجل؛ فهو ملك قاصر وملك مقيد؛ ملك قاصر لا يشمل؛ فالبيت الذي لزيد لا يملكه عمرو والبيت الذي لعمرو لا يملكه زيد ثم هذا الملك مقيد بحيث لا يتصرف الإنسان فيما ملك إلا على الوجه الذي أذن الله فيه ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال وقال الله تبارك وتعالى:{وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا} [النساء: ٥]؛ وهذا دليل على أن ملك الإنسان ملك قاصر وملك مقيد بخلاف ملك الله سبحانه وتعالى فهو ملك عام شامل وملك مطلق يفعل الله سبحانه وتعالى ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

ثالثًا: الاعتقاد بأن الله تعالى هو المدبر؛ فالله عز وجل منفرد بالتدبير؛ فهو الذي يدبر الخلق يدبر السماوات والأرض كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه:{أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ} [الأعراف: ٥٤]، وهذا التدبير شامل لا يحول دونه شيء ولا يعارضه شيء، والتدبير الذي يكون لبعض المخلوقات كتدبير الإنسان أمواله وغلمانه وخدمه وما أشبه ذلك هو تدبير ضيق محدود ومقيد غير مطلق فظهر بذلك صدق صحة القول بأن توحيد الربوبية: هو إفراد الله بالخلق والملك والتدبير وعلى هذا لا يستحق الحمد المطلق إلا الله تعالى.

قال علماؤنا أعزهم الله تعالى: فالله سبحانه وتعالى هو المحمود بكل لسان المعبود في كل زمان ولا يشغله شأن عن شأن

قولهم: الحمد لله؛ المراد بالحمد لله ذكر أوصاف المحمود والثناء على الله تعالى بما هو أهله، وآل للاستغراق وللاختصاص.

وقولهم: بكل لسان؛ يشمل لسان الحال، ولسان المقام؛ لسان الحال: فإن الله تعالى يحمده جميع المخلوقات، ولسان المقام: فإن الله تعالى هو المحمود على كل الألسنة.

قال علماؤنا: قول أهل العلم: بكل لسان؛ يدل على أمر مهم؛ وهو أن الله تعالى فطر جميع الخلق على حمده سبحانه وتعالى والاعتراف له بالربوبية.

وقولهم: المعبود في كل زمان؛ أي أن الله تعالى له العبودية؛ عبودية عامة شاملة لا يخرج عنها أحد؛ قال الله تعالى{إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾} [مريم: ٩٣]؛ فهو سبحانه وتعالى معبود عند جميع الخلق؛ لأن الله هو خالقهم ورازقهم؛ فهذه العبودية الشاملة لا يخرج منها أحد لا من جن ولا إنس ولا مؤمن ولا كافر ولا بشر ولا ملك ولا شمس ولا أرض ولا بحر ولا هواء؛ فالكل عبيد لله تعالى مسخرون مطيعون فإن الله تعالى هو الذي خلق الخلق، وهو الذي يقدر لهم ما يشاء، وهم خاضعون له؛ فبني آدم في نشأتهم في هذه الأرض وفي حياتهم فيها بل وفي رزقهم وأجلهم وألوانهم وأطوالهم وما يجري داخلهم من حركات الدم والقلب خاضعون لله تعالى؛ فليس للإنسان إرادة في أن يختار كيفية المعيشة.

كما أن الله تعالى له العبودية الخاصة؛ وهي التي يتميز بها المؤمنون عن الكفار؛ فالمؤمنون هم الذين يعبدون الله تعالى على شريعته التي أمر بها على ألسنة الرسل.

والمعني: أنه لا يخلو زمان ولا مكان من وجود من يعبد الله تعالى، وهذا هو الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:"**لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق**... - - الذي لا يخلو من عمله مكان - هذا يدل على شمول علم الله تعالى؛ أي: علم الله تعالى في كل مكان سواء كان ظاهرا أو باطنا؛ قال الله تعالى:{وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾} [الأنعام: ٥٩].

قولهم: ولا يشغله شأن عن شأن؛ هذا يدل على كمال الله تعالى الكمال المطلق؛ فالمخلوق لا يستطيع أن ينشغل بأكثر من شغله في وقت واحد.

فمثلاً: نجد أن الإنسان يسمع من يكلمه، ولكن لا يسمع من يتكلم في مكان آخر، أما الله سبحانه وتعالى يسمع كل الخلائق في وقت واحد، وقس على هذا.

قال علماؤنا: ولهذا التوحيد نواقض؛ الأول: إنكار الرب بالكلية (والعياذ بالله تعالى) كما يقول أهل الطبيعة.

الثاني: اعتقاد الإنسان أن خلقه أو رزقه أو حياته أو مماته من غير الله تعالى.

الثالث: ما درج عليه الفلاسفة من قولهم بقدم العالم؛ أي: أن هذا العالم لم يوجده الله عز وجلا - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - إنما كان قديما وأنه باق إلى الأبد.

الثاني: الإيمان بألوهيته: وهو ما يسميه أهل العلم: توحيد الألوهية.

وهذا النوع من التوحيد يحتاج منا إلى ذكره بشيء من التفصيل

لأن الرسل أرسلت من أجله؛ وسوف نتكلم عنه في النقاط الآتية:

أولاً: معنى التوحيد:

التوحيد لغة: مصدر مأخوذ من قولهم: وحد الشيء يوحده توحيدًا إذا أفرده؛ والمعنى: جعل الشيء واحدًا؛ تقول: وحدت المتكلم؛ إذا جعلته واحدًا، ووحد المسلمون الله؛ أي: جعلوه واحدًا، وضد التوحيد الشرك؛ والشرك هو اتخاذ الشريك مع الله تعالى في الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات، والمقصود هنا النهي عن اتخاذ الشريك مع الله في العبادة والأمر بتوحيده، والشرك يقسم إلى قسمين باعتبار وإلى ثلاثة باعتبار آخر.

فأما الاعتبار الأول فيقسم الشرك إلى نوعين:

الأول: شرك أكبر (التنديد)؛ وهذا مخرج من الملة، وهذا الشرك منه ما هو ظاهر ومنه ما هو باطن خفي؛ فالظاهر من الشرك الأكبر: عباد الأصنام والأوثان وعباد القبور والأموات. والباطن كشرك المتوكلين على غير الله تعالى أو شرك المنافقين؛ فإن شركهم في الباطن.

الثاني: شرك أصغر؛ وهو ما حكم الشارع عليه بكونه شرك وليس فيه ما يلحقه بالشرك الأكبر، وعبر عنه بعض العلماء بقوله: ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر، وهذا الشرك منه ما هو ظاهر ومنه ما هو باطن؛ فالظاهر من الشرك الأصغر كالحلقة والتمائم والحلف بغير الله تعالى، والباطن من هذا الخفي كيسير الرياء.

وبالاعتبار الآخر فيقسم إلى ثلاثة أقسام؛ الأول: شرك أكبر.

الثاني: شرك أصغر.

الثالث: شرك خفي؛ هو يسير الرياء.

والتوحيد المطلوب يشمل ثلاثة أنواع؛ الأول: توحيد الربوبية؛ والمعنى: توحيد الله تعالى بأفعاله، وقد بينا ذلك.

الثاني: توحيد الألوهية؛ ومعناه: إفراد الله تعالى بالعبادة؛ أي: توحيد العبد بأفعاله لله تعالى. وكلمة الله؛ قال بعض أهل العلم: إنها مشتق، وبعضهم قال: إنها اسم جامد.

قال علماؤنا: والصحيح أنها اسم مشتق.

ثم اختلفوا في هذا الاشتقاق؛ فقال بعضهم: إنه مشتق من ألـه يألـه فهو مألوه.

وقال بعضهم: إنه من ألـه يألـه فهو آلِـه، ومن ثم فسروه بتوحيد الربوبية؛ وبناءً على هذا التفسير وقع خطأ كبير عند كثير من المتكلمين حين فسروا كلمة التوحيد؛ ففسروها بأنها لا خالق إلا الله؛ بناءً على هذا الفهم في الاشتقاق.

والصحيح: أنها من أله يأله فهو مألوه؛ أي معبود، ومن ثم جاء تفسير لا إله إلا الله بمعني: لا معبود بحق إلا الله، وهذا هو التوحيد الصحيح.

قد يقول قائل: قلتم أن توحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بالعبادة. فما معنى العبادة؟

والجواب: فسر علماؤنا العبادة بمعاني كثيرة منها ما يلي:

أولاً: الخضوع والتذلل؛ مأخوذ من قولهم: طريق معبد؛ أي: مذلل؛ ولذلك لما كانت عبادة الإنسان مشتملة علي التذلل لله جلا

وعلا سميت بذلك؛ وأشار إلى ذلك القرطبي - رحمه الله تعالى -.

ثانيًا: طاعة الله تعالى بامتثال ما أمر الله به علي ألسنة الرسل.

ثالثًا: هي طاعته بفعل المأمور وترك المحذور.

رابعًا: هي كمال الذل مع كمال الحب؛ فكمال الحب مع كمال الذل لا يكون إلا لله تعالى وحده لا شريك له؛ فإن الإنسان قد يكتمل حبه لولده ولكن لا يتذلل له، كما أنه قد يتذلل لفرد معين ولكن لا يحبه.

وضابط العبادة في الشرع كما قال شيخ الإسلام في أول رسالة العبودية: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة؛ فيشمل ذلك كل ما يكون من العبد من القول والفعل والاعتقاد الذي يحبه الله تعالى ويرضاه.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: مدار العبادة على خمسة عشرة قاعدة من كملها كمل مراتب العبودية، وتوضيح ذلك أن الأحكام التي للعبودية خمسة (حلال، حرام، مكروه، مباح، مستحب)؛ وهي لكل واحد من القلب، واللسان، الجوارح.

قال علماؤنا: وتوحيد الألوهية من أعظم أنواع التوحيد؛ لأنه يستلزم من الإنسان أن يجعل محبته وخوفه ورجائه وتوكله (التوكل: هو بذل الجهد في الأسباب ثم تسليم الأمر لله تعالى، وقال أهل العلم: ترك اتخاذ الأسباب معصية، والتوكل على الأسباب شرك؛ وهو فريضة يجب إخلاصه لله تعالى؛ قال الله تعالى{وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ} [المائدة: ٢٣]، وقال تعالى : {إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ} [يونس: ٨٤]؛ فجعل التوكل شرطًا للإيمان والإسلام، مما يدل

على أهميته؛ فهو أجمع أنواع العبادة، وأعلى مقامات التوحيد وأعظمها وأجلها؛ لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة. والتوكل على الله سبحانه يكون في جميع الأمور لا في بعض الأحوال؛ وليس معنى التوكل على الله إهمال الأسباب؛ فإن الله أمر بالتوكل وأمر باتخاذ الأسباب، فقال الله عز وجل:{وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ} [الأنفال: ٦٠]، وقال الله تعالى :{خُذُواْ حِذْرَكُمْ} [النساء: ٧١]، لكن لا يعتمد على الأسباب في حصول النتائج. وكان النبي ﷺ أعظم المتوكلين، وكان يحمل السلاح، ويلبس الدروع، ويضع المِغْفَرَ على رأسه ﷺ، ولما كان أناس يحجون، ولا يأخذون معهم الزاد، ويصبحون عالة على غيرهم، ويسمون أنفسهم بالمتوكلين؛ أنزل الله تعالى:{وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ} [البقرة: ١٩٧]، ولهذا قيل: الاعتماد على الأسباب شرك، وترك الأسباب قدح في الشريعة، لا تجعلوا توكلكم عجزًا، ولا عجزكم توكلاً، بل إن الجنة لا تحصل إلا بسبب، وهو العمل الصالح . والله أعلم)، **وإنابته لله وحده؛ فلا يستغيث إلا بالله ولا يعتقد أن ينفعه أحد إلا الله أو يضره إلا الله عز وجل فيكون دعائه لله وذبحه لله ونذره لله وحلفه بالله ورغبته في الله ورهبته من الله تعالى.**

وهذا التوحيد هو الذي وقعت فيه الخصومة بين الرسل وقومهم ومن أجل تحقيقه أنزلت الكتب وأرسلت الرسل..... ولذلك الكثير من الناس يقول: لا إله إلا الله، وهو يذبح لغير الله وينذر لغير الله ويستغيث بغير الله ويستجير بغير الله ويطوف على القبر وينذر للغير ويقسم بصاحب القبر وهذا كله ناقض لمعني لا إله إلا الله؛ فمن لوازم لا إله إلا الله أن لا معبود بحق إلا الله؛ فالنذر عبادة والذبح عبادة وكذلك الخوف والتوكل والرجاء عبادة فلا يجوز صرفها لغير

الله تعالى؛ قال تعالى:{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾} [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]؛ فقوله تعالى:{لَا شَرِيكَ لَهُ}؛ يدل على أن صرف شيء من الذبح لغير الله تعالى شرك وخروج عن توحيد الله جلا وعلا، ولذلك اعتنى العلماء رحمهم الله تعالى بهذا النوع من التوحيد ورهبوا عن نواقضه، وهذا النوع من التوحيد وقع فيه كثير من الناس.

ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية وبتوحيد الأسماء والصفات؛ فلو أن رجلا من الناس يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق المدبر لجميع الأمور وأنه سبحانه وتعالى المستحق لما يستحقه من الأسماء والصفات لكن يعبد مع الله تعالى غيره لم ينفعه إقراره بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات؛ فلو فرض أن رجلا يقر إقرارا كاملا بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات لكن يذهب إلى القبر فيعبد صاحبه أو ينذر له قربانا يتقرب به إليه فإن هذا مشرك كافر خالد في النار قال الله تبارك وتعالى:{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾} [المائدة: ٧٢].

ومن المعلوم لكل من قرأ كتاب الله عز وجل يجد أن المشركين الذين قاتلهم النبي ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم وسبى نساءهم وذريتهم وغنم أرضهم كانوا مقرين بأن الله تعالى وحده هو الرب الخالق لا يشكون في ذلك، ولكن لما كانوا يعبدون معه غيره صاروا بذلك مشركين مباحي الدم والمال.

قال علماؤنا أعزهم الله تعالى: ومن ادعى الألوهية فهو طاغوت؛ فلا بد لكي يسلم العبد من الشرك أو الكفر أن يكفر بالطاغوت أولاً ثم يؤمن بالله تعالى؛ قال عز وجل:{فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ} [البقرة: ٢٥٦].

وقد يقول قائل: وما هو الطاغوت؟

قلنا: الطاغوت؛ مأخوذ من قولهم: طغى الشيء إذا جاوز الحد؛ يقال: طغي السيل إذا زاد ماءه وارتفع؛ كما قال الله تعالى:{إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾} [الحاقة: ١١]؛ أي: زاد الماء وارتفع (وذلك يوم الطوفان)؛ فالمقصود أن الطغيان هو مجاوزة الحد.

وقد اختلفت عبارات السلف والعلماء رحمهم الله تعالى في معنى الطاغوت على أقوال؛ **أولاً: الطاغوت: هو الشيطان**، وهذا قول عمر ابن الخطاب ☺ ؛ وذلك لأنه ما عبد شيء من دون الله عز وجل إلا إذا كان للشيطان فيه دَخَل، وما من شيء ينصب للعبادة من دون الله عز وجل إلا وحقيقة هذه العبودية - التي هي لغير الله تعالى - للشيطان كما قال تعالى:{ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾} [النساء: ١١٧]؛ فأخبر الله تبارك وتعالى أن عبادة غيره منصرفة إلى الشيطان؛ ولذلك قال عمر بن الخطاب ☺ : الطاغوت هو الشيطان؛ لأنه هو في الحقيقة الداعي إلى عبودية العبد لغير الله تعالى.

ثانيًا: الطاغوت: هو كل ما عبد من دون الله تبارك وتعالى، وهذا قول الإمام مالك - رحمه الله تعالى - وهو تعريف صحيح كما قال العلماء

- رحمهم الله تعالى - ولكن يضاف إلى ذلك ورضي بهذه العبادة.

فمثلاً: عيسى وموسى - عليهما السلام - عبدا من دون الله تعالى، ولكن عيسي ليس بطاغوت؛ لأنه لم يرض بهذه العبادة، وكذلك موسى.

ثالثًا: الطاغوت: كهان (الكاهن له صلة بالشياطين؛ فيخبرونه بما يسترقه الشيطان من السمع ويزيد الشيطان على العبارة الواحدة مائة عبارة فيكذب فيها مائة كذبة حتى تبلغ الآفاق؛ فالكهان يتلقون عن الشياطين ما يسترقونه وما يزيدون عليه) **كانت تنزل عليهم الشياطين؛** فالكهان تتلقى من الشياطين وكانت العرب في الجاهلية تعبدهم وتعظمهم من دون الله عز وجل؛ فنهي الله تبارك وتعالى عن ذلك، وهذا قول جابر بن عبد الله ☺.

رابعًا: الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده؛ من متبوع أو معبود أو مطاع، وهذا قول الإمام بن القيم رحمه الله تعالى، وهو تعريف شامل وجامع.

وبالتالي فقوله تعالى:{أَجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ} [الزمر: ١٧]؛ أي: ابتعدوا عن مجاوزة الحدود في كل شيء سوى الله تعالى؛ سواء كان ذلك الشيء من الأحياء أو من الأموات، سواء كان صالحا أو غير صالح، وسواء كان شجراً أو حجراً أو غير ذلك. وعلى هذا لا يتحقق الإيمان بالله تعالى إلا بالكفر بالطاغوت.

ولذلك قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: اعلم رحمك الله تعالى: أن أول ما فرض الله تعالى على بني آدم؛ الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، والدليل قوله عز وجل:{ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا

أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ} [النحل: ٣٦].

كما قال رحمه الله تعالى: واعلم أن الإنسان لا يصير مؤمنا إلا بالكفر بالطاغوت، والدليل قوله تعالى:{فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٥٦].

فإن قال قائل: ما صفة الكفر بالطاغوت؟

قلنا: أن تعتقد بطلان عبادة غير الله تعالى وتتركها وتبغضها، وتكفّر أهلها وتعاديهم.

فإن قال قائل: وما هي الطواغيت؟

قلنا: الطواغيت كثيرة؛ رءوسهم خمسة، وهي؛ الأول: **الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله تعالى**؛ والدليل قوله تعالى:{أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠} [يس: ٦٠].

الثاني: **الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى**؛ والدليل قوله تعالى: {أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ٦٠} [النساء: ٦٠].

الثالث: **الذي حكم بغير ما أنزل الله تعالى**؛ والدليل قوله تعالى: {وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ} [المائدة: ٤٤].

الرابع: **الذي يدعي علم الغيب من دون الله تعالى**؛ والدليل قوله تعالى:{عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦} [الجن: ٢٦].

الخامس: **الذي يعبد من دون الله تعالى وهو راض بالعبادة**؛ والدليل قوله تعالى:{وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ

نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾} [الأنبياء: ٢٩].

قال علماؤنا: ولهذا التوحيد (أي: توحيد الألوهية) نواقض؛ **أولاً**: الاعتقاد بالتشريك؛ كأن يعتقد الإنسان أن مع الله تعالى من ينفع أو يضر وكأن يدعو صاحب قبر مع الله تعالى ويقول آخذه مع الله تعالى زلفا وشفيعا عند الله تعالى كما فعل كفار قريش؛ حيث قال الله تعالى:{مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ} [الزمر: ٣]، حينما بعث الله تعالى رسوله بينهم.

ثانيًا أن يكون الإنسان مستغيثًا مستجيراً بالله تعالى ولكن يصرف قلبه لغير الله تعالى على سبيل الرياء وهو الشرك الأصغر الذي أخبر النبي ﷺ أنه في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء في شدة الظلماء على الحجر الأملس.

وهو شرك الرياء؛ كأن يصلي الإنسان لله تعالى وقصده أن يصلي لله ولكن من أجل أن تعتقد صلاته؛ حيث قال تعالى:{فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا} [الكهف: ١١٠]. وعن أبي وائل عن أبي موسى قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة - من أجل أنه شجاع - ويقاتل رياء - ليراه الناس ويثنوا عليه - فأي ذلك في سبيل الله؟ قال:**"من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله** - [1]؛ أي: أن جميع هذه المقاصد لما دخلت على المقاتل أفسدت عبادته؛ فلو صرف الإنسان شعبة واحدة من قلبه لغير الله تعالى فقد أفسد عبادته لله تعالى، ولذلك قال الله تعالى عن أهل النفاق:{يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا} [النساء: ١٤٢].

(1) أخرجه البخاري (7020).

فلا يجوز للإنسان أن يصرف في عبادته شيء لغير الله تعالى؛ فإذا صلى وصام وذكر الله تعالى فيكون كل هذا من أجل الله تعالى، فإذا أراد الإنسان أن يكون موحدا حقا فلا يصرف أي شيء من عبادته ولو مثقال ذرة لغير الله تعالى؛ ولذلك أمر النبي ﷺ الأمة من الاستغفار من هذا الشرك، وكان السلف الصالح يحملون في العبادة هم الإخلاص وكان أحدهم يقول: وددت أن عبادتي بيني وبين الله تعالى ولا يراني أحد، وقال بعضهم: ما جهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص؛ **فقبول الأعمال ونفعها في الدنيا والآخرة موقوفة على الإخلاص** (وهو أن تفعل كل شيء ولا تريد به إلا وجه الله تعالى).

الثالث: الإيمان بأسمائه وصفاته: وهو ما يسميه أهل العلم: توحيد الأسماء والصفات.

توحيد الأسماء والصفات معناه: اثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه وما أثبته له الرسول صلى الله عليه وسلم من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكيف ولا تعطيل ولا تأويل ولا معنى.

وهذا هو الذي عناه الإمام الموفق ابن قدامة في اللمعة بقوله: موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم وعلى لسان نبيه الكريم وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل.

قولهم: الرد:

الرد: هو التكذيب والإنكار؛ كأن يقول قائل: ليس لله تعالى يد لا

حقيقة ولا مجازًا، وهو كفر لأنه تكذيب لله تعالى.

قولهم: ولا تأويل:

التأويل: هو صرف النص من الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به.

والتأويل يطلق ويراد به معنيين؛ الأول: التفسير؛ فتأويل الآية؛ أي: تفسيرها، وهذا نهج ابن جرير الطبري - رحمه الله تعالى -.

الثاني: الحقيقة التي يؤول إليها الشيء؛ فتأويل الرؤيا؛ أي: حقيقة الرؤيا؛ بمعني: أن حقيقة الرؤيا تحققت من خلال ما جرى.

والتأويل له حالتان؛ الأولى: أن يكون الدليل صحيح، والصارف عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح صحيحا؛ ففي هذه الحالة يكون التأويل صحيح.

مثال توضيحي: قوله صلى الله عليه وسلم :**"من سمع النداء ولم يمنعه من اتباعه عذر فلا صلاة له -.**

نقول: الأصل في قوله صلى الله عليه وسلم :**"فلا صلاة له -**؛ أي: لا صلاة صحيحة له؛ هذا هو المعنى الراجح، والمعنى المرجوح في قوله صلى الله عليه وسلم :**"فلا صلاة له -**؛ أي: لا صلاة كاملة له؛ فإذا أولنا قوله صلى الله عليه وسلم :**"فلا صلاة له** - من الصحة إلى الكمال كان هذا التأويل صحيح.

لماذا؟

لوجود دليل يقترن بهذا التأويل.

ما هذا الدليل؟

قوله صلى الله عليه وسلم :"**صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه سبع وعشرين درجة** -؛ ففي هذا الحديث نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتبر كلتا الصلاتين.

فحملنا قوله صلى الله عليه وسلم :"**فلا صلاة له** - من لا صلاة صحيحة إلى لا صلاة كاملة؛ إذ لو حملنا قوله صلى الله عليه وسلم :"**فلا صلاة له** - على أن المراد لا صلاة صحيحة ما اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم صلاة البيت.

وعلى هذا نقول: صرفنا الدليل من المعنى الراجح وهو نفي الصحة إلى المعنى المرجوح وهو نفي الكمال لوجود دليل صحيح يقترن به. وبالتالي نقول: إن هذا التأويل مقبول.

مثال آخر: ما ثبت عن ابن عباس ☺ في قوله تعالى:{يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾} [القلم: ٤٢]، قال:{يُكْشَفُ عَن سَاقٍ}؛ يعني: يكشف عن شدة؛ كما يقال: كشفت الحرب عن ساقها؛ يعني: كشفت الحرب عن شدة وبأس.

وهل هذا التأويل الذي ذهب إليه ابن عباس صحيح؟

والجواب: نعم.

إذن ابن عباس لا يثبت صفة الساق لله تعالى؟

والجواب: أين هذا المدعي؟ لا شك أن هذا خلاف ما يقتضيه العلم؛ فكون هذا القول ثابتًا عن ابن عباس لا يعني أنه ينفي صفة الساق؛ لأن صفة الساق جاءت موضحة في حديث أبي سعيد الخدري؛ حيث قال:"**ثم يكشف ربنا عن ساقه** -؛ فإذا أضيف لم يحتمل إلا الصفة؛ لأن الذوات إذا أضيفت فإما تقتضي الإضافة التشريف أو

الصفة، وهذا لا يقتضي التشريف وإنما يقتضي الوصف.

إذن لماذا أول ابن عباس قوله تعالى:{يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ} أن الساق هنا بمعنى الشدة؟

والجواب: لأنها لم تأتي مضافة؛ فإذا لم يضف في الآية فصحيح يمكن أن يحمل على ما فسرت به العرب من أنها تقول: كُشف اليوم عن ساق؛ يعني: عن شدة؛ لأنه في الآية لم ترد مضافة؛ فاحتمل أن يكون المراد الكشف عن الشدة، ولهذا فسر ابن عباس وغيره الآية بهذا [1].

الثانية: أن يكون التأويل بغير دليل، وهذا هو الباطل الذي ذهب إليه المنحرفين، وهو الذي قصده الموفق - رحمه الله تعالى -.

قال العلامة محمد بن صالح في اللمعة: والمراد به هنا تفسير نصوص الصفات بغير ما أراد الله تعالى بها ورسوله، وبخلاف ما فسرها الصحابة والتابعون لهم بإحسان.

فيقول أهل الأهواء: استوى؛ أي: استولى، ويقولوا في قوله عز وجل: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة: ٦٤]؛ فاليد هي القدرة والنعمة، وفي قوله تعالى:{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤]؛ قالوا: متكلم دون حرف ولا صوت، ومنهم من نفى صفة الكلام مطلقًا؛ فقالوا في تأويل هذه الآية: خلق له كلامًا في الشجرة فسمعه موسى، بل قالوا: كلمه؛ أي: جرحه بمخالب الحكمة، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم :**"ما من مكلوم يكلم في سبيل الله...** -، وقالوا في قوله تعالى:{وَجَاءَ رَبُّكَ} [الفجر: ٢٢]، وقالوا: عينه عطفه ورحمته؛ كما قالوا في قول الله

(1) انظر شرح اللمعة لفضيلة الشيخ العلامة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

تعالى:{وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا} [النساء: ١٢٥]؛ أي: من الخِلة، وهي الاحتياج والفقر، وليست من الخُلة التي هي المحبة أو أعلى درجات المحبة؛ فيأتوا على كل صفة ثابتة بتأويل غير مراد لم يدل عليه النص، وإن دل عليها فإنها دلالة ضعيفة جدا، بل إن هذا التأويل مصادم للنصوص الأخرى، ومصادم لمنهج السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

قال شيخنا أعزه الله تعالى: ولا شك أن هذا أقوال باطلة، ولهذا قال محمد بن حبيب بن أبي حبيب عن أبيه عن جده: شهدت خالد بن عبد الله القسري وقد خطبهم في يوم أضحى بواسط، فقال: ارجعوا أيها الناس فضحوا تقبل الله منكم فإني مضح بالجعد بن درهم فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما - سبحانه وتعالى عما يقول الجعد بن درهم - ثم نزل فذبحه، قال أبو رجاء: وكان الجهم أخذ هذا الكلام من الجعد بن درهم.

فلا ينبغي للإنسان نفي الصفة ولا المبالغة في الإثبات؛ فنفي الصفة هو مذهب المعطلة، والمبالغة في الإثبات هو مذهب المشبهة، ومنهج الوسطية - مذهب أهل السنة والجماعة - عدم نفي الصفة وعدم المبالغة في الصفة، وهذا المنهج الذي رضيه الله عز وجل ولا يمكن للإنسان أن يكون موحداً لله تعالى في أسمائه وصفاته إلا بسلوك هذا المنهج.

ولو كان الإنسان يتصور أمرا فلا ينبغي أن يدخل العقل في دليل النقل، فإن النقل يحكم العقل وليس العقل هو الحكم على النقل؛ فإن أهل الضلال سمعوا أوصاف الله تعالى وحكموا العقل عليها، سمعوا من صفات الله تعالى الكيد والمكر فقال تعالى:{وَأَكِيدُ كَيۡدٗا} [الطارق: ١٦]،

وقال تعالى:{وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ} [آل عمران: ٥٤]؛ فقال أهل الضلال: الكيد والمكر صفة نقص؛ فلا يمكن أن تكون لله تعالى، ولكن أهل السنة والجماعة قالوا: نثبت ما أثبته الله تعالى لنفسه؛ فكيد الله تعالى كمال ومكره كمال، وكما قال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - لما كان كيد الله تعالى للمستحق ومكره بمن يستحق كان كمال، ولما كان كيد المخلوق ومكره في غير المستحق كان نقصا فيه، وشتان ما بين الخالق والمخلوق.

قال علماؤنا: وفتح باب التأويل معناه ترك النصوص لأي أحد أن يعبث به ويقول كما يهوى، وهذا التأويل الباطل الذي قالوه ما دخل إلا لما رأوا المتكلمين من المعتزلة العقلانيين يعبثون بنصوص القرآن والسنة الصحيحة ويتأولونها بغير دليل صحيح.

فالإنسان الموفق هو الذي يثبت صفات الله تعالى دون تعطيل أو تشبيه أو تمثيل وبالتالي فإن نفاة الصفات أدخلوا نفي الصفات في مسمى التوحيد؛ كجهم بن صفوان - قال: الإيمان مجرد المعرفة فقط - ومن وافقه فإنهم قالوا: اثبات الصفات يستلزم تعدد الواجب وهذا القول معلوم الفساد بالضرورة، فإن إثبات ذات مجردة عن جميع الصفات لا يتصور لها وجود في الخارج وإنما الذهن قد يفرض المحال ويتخيله وهذا غاية التعطيل، وهذا القول قد أفضى بقوم إلى القول بالحلول والإتحاد وهو أقبح من كفر النصارى فإن النصارى خصوه بالمسيح وهؤلاء عموا جميع المخلوقات.

قال علماؤنا: ولا شك أن هذا التأويل مذموم؛ وهو من علامات الزيغ - أعاذنا الله تعالى وإياكم من الزيغ - واستدل الموفق بأن التأويل من علامات الزيغ بقوله تعالى:{فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا

تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ} [آل عمران: ٧]؛ فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم ثم حجبهم عما أملوه وقطع أطماعهم عما قصدوه بقوله سبحانه:{وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ} [آل عمران: 7]؛ أي: لا يعلم حقيقة ما أعد الله تعالى للمؤمنين في الجنة إلا الله تعالى، ولا يعلم حقيقة ما أعد الله تعالى للكافرين في النار إلا الله تعالى.

قال علماؤنا أعزهم الله تعالى: فما قاله الموفق - رحمه الله تعالى - قاعدة كبرى لأهل السنة والجماعة، وأما من يتعرض لأسماء الله تعالى وصفاته بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل فهم أهل الأهواء من المبتدعة وغيرهم.

قولهم: **ولا تشبيه**، وهو أن يجعل صفة من صفات الله تعالى مشابهة لصفات المخلوقين أو العكس.

وقولهم: **ولا تمثيل**؛ وهو أن يجعل صفة من صفات الله تعالى مماثلة لصفات المخلوقين أو العكس، والفرق بين التشبيه والتمثيل؛ أن التشبيه إنما يكون في بعض الشيء، أما التمثيل إنما يكون في كل الشيء، أما أهل السنة والجماعة فهم وسط بين أهل التعطيل وبين أهل التشبيه والتمثيل.

ولذلك قال أهل العلم: كل ممثل مكيف ولا عكس.

والأولى أن نقول: ولا تمثيل، ولا نتعرض للتشبيه.

لماذا؟

أولاً: لأن القرآن عبر به؛ قال تعالى:{لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ} [الشورى: ١١]؛ وكل ما عبر به القرآن فهو أولى، ولا أدل على المعنى

المراد من القرآن.

ثانيًا: أن التشبيه يعني عند بعض الناس إثبات الصفات؛ ولذلك يسمون أهل السنة المشبهة؛ فإذا قلنا: ولا تشبيه؛ فقد يفهم بعض الناس أن هذا فيه نفي للصفات؛ فكان العدول عنه أولى.

ثالثًا: نفي التشبيه مطلقًا فيه نظر؛ لأن ما من شيئين من الأعيان أو من الصفات إلا بينهما اشتراك من بعض الوجوه؛ فمثلاً: السمع؛ فيه اشتراك؛ فالإنسان له سمع، والخالق له سمع، لكن بينهما فرق، لكن أصل وجود السمع مشترك.

ولذلك كان التعبير بالتمثيل أولى من التعبير بالتشبيه من ثلاثة أوجه.

قولهم: ولا تكيف؛ فلا نقول مثلاً: كيف ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا؛ بدليل قوله تعالى:{ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [الأعراف: ٣٣].

قال العلامة محمد بن صالح: فإذا جاء رجل وقال: إن الله تعالى استوى على العرش؛ على هذه الكيفية، ووصف كيفية معينة، فإننا نقول: هذا قد قال على الله ما لا يعلم؛ لأن الله تعالى لم يخبره بكيفية الاستواء، ولهذا قال بعض السلف: إذا قال لك الجهمي: إن الله ينزل إلى السماء؛ فكيف ينزل؟ فقل له: إن الله تعالى أخبرنا أنه ينزل، ولم يخبرنا كيف ينزل.

كما أن كيفية الشيء لا تدرك إلا بواحدة من أمور ثلاثة:

أولاً: مشاهدته؛ ونحن لم نر الله تعالى.

ثانيًا: مشاهدة نظيره؛ والله عز وجل لا نظير له.

ثالثًا: خبر صادق؛ فليس أصدق من النبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لم يخبرنا بكيفية النزول.

وقول العلماء: " بدون تكيف ": ليس معناه ألا نعتقد لها كيفية، بل لها كيفية لكن المنفي علمنا بالكيفية.

وقد يقول قائل: ما تقولون في قوله صلى الله عليه وسلم :**"إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته** -؛ فهذا النبي صلى الله عليه وسلم أتى بقول كما، وهي تدل على التشبيه، والقاعدة: أنه يجب على المسلم أن يؤمن بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم كما يؤمن بما جاء به الله تعالى؟

والجواب: أولاً: لا يمكن أن يتعارض قول النبي صلى الله عليه وسلم مع قول الله تعالى؛ فالذي قال: إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر... هو الذي أخبر عن الله تعالى بأنه ليس كمثله شيء.

ويجب على الإنسان في هذه الحالة أن يرد المتشابه إلى المحكم؛ لأن هذا طريقة الراسخين في العلم؛ قال الله عز وجل في كتابه:{ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ } [آل عمران: ٧].

ثانيًا: أن قوله صلى الله عليه وسلم :**"إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر** -؛ ليس فيه تشبيهًا للمرئي بالمرئي، ولكن تشبيه

للرؤية بالرؤية؛ فالكاف في:"**كما ترون** -؛ داخلة على مصدر مؤول؛ لأن (ما) مصدرية، وتقدير الكلام: كرؤيتكم القمر ليلة البدر، وحينئذ يكون التشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي؛ والمراد: أنكم ترونه رؤية واضحة كما ترون القمر ليلة البدر؛ ولهذا أعقبه بقوله:"**لا تضامون في رؤيته** -.

وقد يقول قائل آخر: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"**إن الله خلق آدم على صورته** -؛ والصورة مماثلة للأخرى، ولا يعقل صورة إلا مماثلة للأخرى.

والجواب: أولاً: لا يمكن أن يتعارض قول النبي صلى الله عليه وسلم مع قول الله تعالى كما بينا سابقًا.

ثانيًا: الذي قال:"**إن الله تعالى خلق آدم على صورته** - هو الذي قال:"**إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر** -؛ فهل نعتقد أن هؤلاء يدخلون الجنة على صورة القمر من كل وجه أو نعتقد أنهم على صورة البشر لكن من الوضاءة والحسن والجمال واستدارة الوجه وما أشبه ذلك على صورة القمر، لا من كل وجه؟

فإن قلنا بأنهم على صورة القمر من كل وجه؛ فهذا يلزم أنهم يدخلون بدوم أنف وبدون أرجل وبدون فم ونحو ذلك، وإن قلنا بأنهم على صورة القمر من حيث الوضاءة والحسن والجمال زال الإشكال. كما أن الإضافة هنا من باب إضافة المخلوق إلى خالقه؛ فقوله صلى الله عليه وسلم :"**على صورته** -؛ كقوله عز وجل:{وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي} [ص: ٧٢]؛ ولا يمكن أن الله تعالى أعطى آدم جزءًا من روحه، بل المراد بالروح التي خلقها الله تعالى، لكن الإضافة هنا من

باب التشريف.

وقولهم: لا معنى (هذا قول أحمد وغيره)؛ المراد ولا معنى بالتكيف ولا بالتعطيل ولا بالرد حتى لا يظن بعض أهل العلم أن الإمام أحمد مفوض لصفات الله تعالى؛ فالتفويض عند أهل السنة والجماعة يكون في كيفية الصفة لا في حقيقتها.

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله تعالى في قول النبي صلى الله عليه وسلم :"إن الله ينزل إلى سماء الدنيا - و"وإن الله يرى في القيامة -،

وما أشبه هذه الأحاديث: نؤمن بها ونصدق بها لا كيف (أي: بدون تكيف) **ولا معنى** (المراد: ولا معنى بالتكيف ولا بالتعطيل ولا بالرد حتى لا يظن بعض أهل العلم أن الإمام أحمد مفوض لصفات الله تعالى؛ فالتفويض عند أهل السنة والجماعة يكون في كيفية الصفة لا في حقيقتها) **ولا نرد شيئا منها** (كما أنكر الجهمية صفات الله تعالى) **ونعلم أن ما جاء به الرسول حق** (أي: ثابت) **ولا نرد على رسول الله** صلى الله عليه وسلم (ولهذا كان أحد الأئمة وهو إسحاق بن راهويه عند أمير خرسان فقرأ عليه أحاديث النزول بروايتها فقال له الأمير: كيف تحدث بهذه الأحاديث؛ فقال له: يا أمير هذه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نرويها بها نحلل الحلال ونحرم الحرام ونستحل بها الفروج؛ فإذا رددنا هذا رددنا سنة النبي صلى الله عليه وسلم كلها؛ فما دام الإسناد ثابتًا فنؤمن بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم) **ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه** (بمعنى: أن الأسماء والصفات توقيفية، وأن ليس كل معنًا صحيح نثبته لله تعالى؛ وهذا ما نجده واضحًا أكثر في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فتجد

من يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اصنع الخير وأحسن إلى جارك ليلاً أو نهارًا؛ فهذا معنى صحيح ولكن هذا غير منسوب للنبي صلى الله عليه وسلم، كذلك لا نأتي بصفة من الصفات ولو كان معناها صحيحًا ونثبته لله تعالى؛ فمثلاً: قد يقول قائل الله تعالى هندس هذا الكون بأسلوب رائع؛ فلا نقول: إن من أسماء الله تعالى المهندس، وإن كان هذا المعنى صحيحًا) **بلا حد ولا غاية:**{لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: ١١].

ونقول كما قال ونصفه بما وصف به نفسه لا نتعدى ذلك ولا يبلغه وصف الواصفين (بمعنى: الله سبحانه وتعالى هو العظيم وهو ذو الجلال والإكرام؛ فإن الواصفين له مهما وصفوه لم يبلغوا وصفه؛ فهو له الأسماء الحسنى والصفات العليا، ونحن نعلم بعض هذه الصفات، ولهذا فلا نستطيع أن نصل إلى وصف الله تعالى بكل وصف وبكل اسم ثبت له إلى المبلغ والغاية، ولهذا بلغنا الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله أن له أسماء استأثر بها عنده).

نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت (أي: لا نرد صفة من صفات الله تعالى من أجل تشنيع المخالفين؛ فهؤلاء المخالفون قالوا: لو أثبتنا لله تعالى وجه فإننا في هذه الحالة شبهناه بالمخلوقين؛ فيشنع علينا بمثل هذه الشنعات؛ ففي هذه الحالة نثبت لله تعالى ما ثبت حتى ولو شنع علينا أحد ولا نرد أي صفة من صفات الله تعالى؛ فلا يجوز لمن ينتسب لأهل السنة والجماعة أن ينحرف وينزلق من أجل شناعة هؤلاء؛ لأن صفة أهل الضلال والتحريف أنهم يخترعون شانعة جديدة يشنعون بها على الناس).

ولا نتعدى القرآن والحديث ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيت القرآن.

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى: آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله (أي: بما وصف به نفسه من غير زيادة ولا نقصان) **وآمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء رسول الله على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم** (أي: آمنت برسالته وبنبوته، على ما أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف، وأمنت بكل ما جاء به عن الله تعالى من بعث وحساب، وثواب وعقاب، وجنة ونار، ونحو ذلك؛ والمعنى: أنني أمنت بهما كما أراد الله تعالى ورسوله).

قال المؤولة: الإمام الشافعي لا يعلم معاني الآيات والأحاديث لأن قوله هذا يعني أنه أحال المعنى على مراد من تكلم، وهذا يدل على أنه لم يفهم المعنى، وهو الإمام الشافعي. وهذا قول كسير؛ فإن قول الإمام الشافعي هذا قول مجمل؛ والمعنى: آمنا بالله تعالى وبما جاء عن الله فيما علمنا وفي ما لم نعلم على مراد الله تعالى.

قال الإمام الموفق ابن الموفق في اللمعة: وعلى هذا (أي ما قاله أحمد والشافعي) **درج السلف** (السلف هو من سبقنا؛ والمعنى: من صار على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه) **وأئمة الخلف** (الخلف هو من لحق السلف؛ أي: من صار على نهج السلف ♦) **كلهم متفقون على الإقرار** (بما وصف الله تعالى به نفسه، وما وصفه رسوله صلى الله عليه وسلم) **والإمرار** (أي: إمرار الصفة بمعناها، أي: عدم التعرض لها بتحريف ولا بتأويل، وليس معناه التفويض؛ والدليل على ذلك أنه ورد عن السلف مثل هذه العبارة؛ فقد سئل

الإمام أحمد عن قوله صلى الله عليه وسلم : والله لا يؤمن، فقال: تمر كما جاءت) **والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله** (تقدم معناه).

وقد يقول قائل: هل صفات الله عز وجل من قبيل المتشابه أو من قبيل المحكم ؟

والجواب: صفات الله سبحانه وتعالى من قبيل المحكم الذي يعلم معناه العلماء ويفسرونه، أما كيفيتها؛ فهي من قبيل المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

وهذا كما قال الإمام مالك - رحمه الله تعالى - **وقال غيره من الأئمة** : الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: ما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة؛ لا أحمد بن حنبل ولا غيره؛ أنه جعل ذلك من المتشابه؛ ومعنى ذلك أن علماء أهل السنة وأئمتها أجمعوا على أن نصوص الصفات ليست من المتشابه، وإنما ذلك قول المبتدعة والفرق المنحرفة عن منهج السلف. والله أعلم.

فيجب علينا وجوبًا حتميًا أن نؤمن بأسماء الله تعالى؛ وهذا يتضمن الإيمان بما يلي؛ **أولاً**: الإيمان بهذه الأسماء.

ثانيًا: بمعنى الاسم؛ فنقول: هو قدير؛ أي: ذو قدرة.

ثانيًا: الإيمان بأثر هذا المعنى.

فمثلاً: قد يسمى شخص كريم وهو فعلاً كريم، ولكن كرمه ليس

له أثر، أما أثر الله تعالى فواقع، ولذلك نقول عليم؛ أي: وذو علم.

ولذلك يقول أهل العلم: أسماء الله تعالى أوصاف وأعلام.

أوصاف باعتبار دلالتها على الذات؛ فنقول: الرحمن، الرحيم، العليم، كلها أوصاف لله تعالى يتصف بها.

أعلام باعتبار دلالتها على المعاني؛ فنقول: الرحمن؛ أي: ذو رحمة واسعة.

صمد: أي: يلجأ إليه عند الحاجة.

قدوس: أي: ليس فيه عيب.

السلام: الآمان لخلقه؛ أي: يعطي لهم الأمن، أو السالم من العيوب.

المؤمن: أي: الذي يصدق وعده، أو المؤمن عباده من العذاب.

المهيمن: أي: الشديد المتصرف.

العزيز: أي: القاهر الغالب.

الجبار: أي: المنفذ لأوامره؛ فعندما يأمر فأمره لا يرد.

المتكبر: العالي عن صفات خلقه المنفرد بصفات العظمة.

الخالق: أي: الذي يوجد من عدم.

البارىء: أي يخلق ما فيه روح.

المقيت: العارف العالم.

الحسيب: الكافي لخلقه.

المحصي: هو الذي عد وأحاط كل شيء بعلمه؛ فلا يفوته شيء من الأشياء.

البر: المتعطف على عباده ببره ولطفه.

المقسط: العادل في حكمه.

الرشيد: يرشد الخلق إلى مصالحهم.

الصبور: هو الذي لا يتعجل على ظلم عباده.

وأسماء الله تعالى كلها حسنى لا تحصى ولا تعد؛ قال صلى الله عليه وسلم :**"أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحد من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك.... -.**

وقد وردت أحاديث تبين اسم الله تعالى الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى؛ فعن ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، سَمِعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم رَجُلاً يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ:**"لَقَدْ سَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى** - [1].

وعن أنس بن مالك ☺ وفيه: " أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسًا ورجل يصلي، ثم دعا: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :**"لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى** - [2].

وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:**"ألا أدلكم على اسم الله الأعظم؟** - قالوا: بلى يا رسول الله، قال صلى الله عليه وسلم :**"دعاء يونس:{لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ }** -، فقال رجل:

(1) صحيح: أخرجه أبو داود (1493)، والنسائي في الكبرى (7666).
(2) صحيح: أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة باب الدعاء 167/2، 168 ح1495.

أهـذا ليـونس خاصـة؟ فقـال صـلى الله عليـه وسـلم : "ألم تقـرأ قولـه تعـالى:{ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾} [الأنبياء: ٨٨] -؛ وهذا يدل على أن هذا الدعاء ليس خاص بيونس عليه السلام، وإذا تأملت أخي الحبيب في هذه الأحاديث تجد أن هناك لفظ مشترك بينها ألا وهو: لا إله إلا أنت؛ فلعل يكون هذا اللفظ هو اسم الله الأعظم. والله تعالى أعلم بالصواب.

الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة ركن عظيم من أركان الإيمان؛ لأن فيه الإيمان بالغيب؛ والله تعالى وصف المؤمنين بأنهم يؤمنون بالغيب؛ قال تعالى: {ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾} [البقرة: ٣]؛ والغيب: هو ما غاب عنا سواء في أمور المستقبل أو ما كان في أمر الواقع (أي: موجود الآن) ولكن لا نراه.

فوجود الملائكة من أمر الغيب؛ وهو ركن من أركان الإيمان، من كفر به كفر بالله تعالى؛ قال تعالى:{ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾} [البقرة: ٢٨٥]؛ وجه الدلالة من هذه الآية الكريمة أن الله تعالى بين فيها أن الإيمان بالملائكة من الإيمان الذي يجب أن نصدق به ونؤمن به.

والإيمان بالملائكة: هو التصديق الجازم بأنهم موجودون، وكذلك الإيمان بصفاتهم الواردة في كتاب الله تعالى وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

وهناك صفات مشتركة بين الملائكة، وإن كان كل واحد منهم له مهمة

خاصة به؛ فمن هذه الصفات المشتركة ما يلي؛ أولاً: أنهم مخلوقون من نور؛ فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال عليه الصلاة والسلام:**"خلقت الملائكة من نور العرش، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم -** [1].

ثانيًا: أنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون؛ قال تعالى:{يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾} [الأنبياء: ٢٠].

ثالثًا: أنهم ليسوا إناثًا؛ قال تعالى:{ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ} [الزخرف: ١٩].

قال علماؤنا [2]: قد ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أربع مسائل: **الأولى**: أن الكفار افتروا على الملائكة أنهم إناث، زاعمين أنهم بنات الله.

الثانية: أنه وبخهم على ذلك توبيخا شديدا وأنكر عليهم ذلك في قوله:{أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡ}؛ يعني: هل حضروا خلق الله تعالى لهم فعاينوهم إناثا؟

الثالثة: أن شهادتهم الكاذبة بذلك ستكتب عليهم.

الرابعة: أنهم يسألون عنها يوم القيامة.

وهذه المسائل الأربع التي تضمنتها هذه الآية الكريمة، جاءت موضحة في غير هذا الموضع.

(1) صحيح: أخرجه مسلم (ج 4 / 2294).
(2) فضيلة العلامة محمد الأمين الشنقيطي (أضواء البيان ج 7 / 94، 95).

أما الأولى منها وهي كونهم اعتقدوا الملائكة إناثا، فقد ذكرها الله تعالى في مواضع من كتابه كقوله تعالى:{أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾} [الإسراء: ٤٠]، وكقوله تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾} [النجم: ٢٧]، وقوله تعالى:{ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ } [الصافات: ١٤٩ - ١٥٠]، إلى غير ذلك من الآيات.

وأما المسألة الثانية، وهي سؤاله تعالى لهم على وجه الإنكار والتوبيخ والتقريع: هل شهدوا خلق الملائكة وحضروه حتى علموا أنهم خلقوا إناثًا؛ فقد ذكرها في قوله تعالى:{مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾} [الكهف: ٥١].

وأما المسألة الثالثة التي هي كون شهادتهم بذلك الكفر ستكتب عليهم - فقد ذكرها تعالى في مواضع من كتابه، كقوله تعالى:{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾} [الانفطار: ١٠ - ١٢]؛ وقوله تعالى: {هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية: ٢٩]، وقوله تعالى:{أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الزخرف: ٨٠].

وأما المسألة الرابعة: وهي كونهم يسألون عن ذلك الافتراء والكفر، فقد ذكرها تعالى في آيات من كتابه، كقوله تعالى:{وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾} [العنكبوت: ١٣].

قال علماؤنا: وفي المقابل لا نقول إنهم ذكور؛ لأن أمور العقيدة لا تؤخذ إلا بالنص؛ فإذا نفى الله تعالى أن الملائكة إناث فليس معنى ذلك أنهم ذكور؛ لأنه لم يأت دليل لنا بذلك؛ فالواجب أن نؤمن بأنهم

ليسوا إناثًا كما لا نثبت أنهم ذكور؛ فالأمر في ذلك راجع إلى الله تعالى.

رابعًا: أنهم أولي أجنحة؛ قال تعالى:{ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾} [فاطر: ١]؛ فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربع أجنحة، ومنهم من يزيد على ذلك.

خامسًا: أنهم يطيعون الله تعالى ولا يعصونه أبدًا؛ قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾} [التحريم: ٦].

سادسًا: أنهم يتشكلون؛ فيأتون في صورة رجال حسان؛ فقد جاءوا إلى إبراهيم عليه السلام في سورة بشر ليبشروه بمولد إسحاق عليه السلام؛ قال تعالى:{هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾} [الذاريات: ٢٤ - ٢٨]؛ فالله عز وجل أعطاهم القدرة على التشكل؛ فهؤلاء الرسل من الملائكة لما دخلوا على إبراهيم عليه السلام ما عرفهم؛ وقد جاءوا يبشرونه بالغلام العليم وهو إسحاق عليه السلام.

قال علماؤنا: يؤخذ من قصة إبراهيم مع ضيفه هؤلاء أشياء من آداب الضيافة:

أولاً: تعجيل القرى (وهو لحم عجل حنيذ؛ أي: منضج بالنار)؛ لقوله:{فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ} [هود: ٦٩].

ثانيًا: كون القرى من أحسن ما عنده ؛ لأنهم ذكروا أن الذي عنده البقر وأطيبه لحما الفتي السمين المنصح.

ثالثًا: تقريب الطعام إلى الضيف.

رابعًا: ملاطفته بالكلام بغاية الرفق؛ كقوله:{أَلَا تَأْكُلُونَ} [الذاريات: ٢٧].

كما جاءوا إلى داود عليه السلام في صورة خصمين؛ قال الله عز وجل: {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾} [ص: ٢١ - ٢٥].

قال النحاس: ولا خلاف بين أهل التفسير أنه يراد به ها هنا ملكان؛ أي المراد بالخصمان ها هنا الملكان.

وقوله:{تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ}؛ أي: أتوه من أعلى سوره.

سابعًا: فيهم شدة لا يعلمها إلا الله تعالى؛ ففي قصة بلقيس ملكة سبأ {قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} [النمل: ٤٠]؛ فهذا الذي كان عنده علم من الكتاب (هو آصف ابن برخيا ابن خالة سليمان)كان يعلم اسم الله تعالى الأعظم؛ فدعا به فسخر الله تعالى له الملائكة فأتت بالعرش في لمح البصر، وهذا يدل على أن الملائكة

أقوى من الجن؛ لأن العفريت من الجن قال لسليمان عليه السلام:{أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ} [النمل: ٣٩]؛ أي: مقام سليمان الذي يجلس فيه.

والله سبحانه وتعالى له من الملائكة ما هو به عليم؛ قال صلى الله عليه وسلم :**"إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد** - [1]، وعن حكيم بن حزام ☺ قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه إذ قال لهم:**"هل تسمعون ما أسمع؟** - قالوا: ما نسمع من شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**"أسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط، ما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راكع أو ساجد** -[2]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**"ما في السماء الدنيا موضع إلا عليه ملك ساجد أو قائم، وذلك قول الملائكة:**{وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ} [الصافات: ١٦٤ - ١٦٦] - [3].

ثامنًا: من صفاتهم أنهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون؛ قال الله عز وجل:{فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾} [هود: ٧٠].

---

(1) حسن: أخرجه أحمد (ج5 / 173).

(2) صحيح: أخرجه ابن نصر في الصلاة (ابن كثير 4/ 474) والسلسلة الصحيحة (ح1060).

(3) أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة "، والسلسلة الصحيحة ح1059 " وابن جرير " 22/ 112 " وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه " الدر المنثور 7/ 135 " وإسناده صالح للمتابعات ويشهد له الذي قبله.

خصائص الملائكة:

أولاً: منهم الموكل بالوحي؛ وهو جبريل عليه السلام، فهو صاحب الوحي؛ فلا ينزل ملك بالوحي إلا جبريل عليه السلام، وهو الذي يتلقى الأوامر من الله تعالى مباشرة فيأمر بها الملائكة، وهو أفضل الملائكة؛ قال تعالى:{قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾} [البقرة: ٩٧]؛ وجه الدلالة من هذه الآية الكريمة أن الله تعالى أنكر على من يعادي جبريل، وبين في آية أخرى أنه كافر؛ فمحبة جبريل من محبة الله تعالى وبغضه من بغض الله تعالى، ولا شك أن بغض الله تعالى كفر مخرج من الملة الإسلامية بإجماع أهل العلم.

وله أسماء متعددة؛ أولها: الروح الأمين؛ قال الله تعالى:{نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾} [الشعراء: ١٩٣]؛ فالمقصود بالروح الأمين هو جبريل عليه السلام.

ثانيها: روح القدس؛ قال تعالى:{وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾} [البقرة: ٨٧]؛ فقوله تعالى في قصة عيسى:{وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ} [البقرة: ٨٧]، هو جبريل عليه السلام؛ وقال تعالى في قصة مريم:{فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾} [مريم: ١٧]؛ فقوله تعالى:{فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا}؛ أي: جبريل عليه السلام، وهذا من الخلط الذي وقع فيه النصارى؛ فقد ظنوا أن الروح، والروح القدس هي إله أو جزء من الإله؛ فقالوا: الأب، والابن والروح القدوس، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

ثالثها: رسول كريم؛ قال تعالى:{إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾} [الحاقة: ٤٠]؛ فالمقصود بالرسول الكريم جبريل عليه السلام.

ولقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم على صورته الحقيقية مرتين؛ الأولى: في صحراء الأبطح؛ قال تعالى:{إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾} [النجم: ٤ - ٩]؛ فهذه هي الرؤية الأولى له في الأبطح حين تجلى له على صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح قد سد عظيم خلقه الأفق. أما المرة التي جاءه في الغار (غار حراء) فقال أهل العلم: إنه جاءه على صورة بشر على الصحيح؛ ولم يعرفه النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المرة؛ فلما رآه في صحراء الأبطح على صورته الحقيقية أخبره عليه السلام بنفسه؛ فقال له: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل.

المرة الثانية: عند سدرة المنتهى؛ قال تعالى:{وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾} [النجم: ١٣ - ١٥]. ولم يره النبي صلى الله عليه وسلم في صورته إلا هاتين المرتين، وبقية الأوقات في صورة رجل، وغالبا في صورة دحية الكلبي ☺ (1).

وجبريل عليه السلام له صفات متعددة؛ أولاً: أنه ينصر المؤمنين بصفة عامه والنبي صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة؛ قال تعالى:{إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٞ ﴿٤﴾} [التحريم: ٤].

(1) قال ابن عمر ﷺ: كان جبريل يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي. رواه أحمد (ج2/ 107) بإسناد صحيح.

ثانيًا: أنه أمين؛ قال تعالى:{نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾} [الشعراء: ١٩٣]؛ فإذا أرسل برسالة فهو مؤتمن على هذه الرسالة لا يزيد فيها ولا ينقص.

ثالثًا: من صفاته أنه مكلف بنصرة الأنبياء والمرسلين؛ فقد نزل لنصرة لوط عليه السلام وغيره من الأنبياء.

رابعًا: من صفاته أنه شديد القوى؛ قال تعالى:{عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ} [النجم: ٥]؛ فمن قوته أنه رفع قرية بني سدوم (قوم لوط عليه السلام وكانت سبع مدن) بطرف جناح من ستمائة جناح حتى وصل بها إلى عنان السماء ثم قلبها؛ قال تعالى:{فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾} [الحجر: ٧٤].

خامسًا: أنه ذو هيئة حسنة؛ قال تعالى:{ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ} [النجم: ٦]؛ فقوله تعالى:{ذُو مِرَّةٍ}؛ أي: ذو هيئة حسنة.

سادسًا: أنه رئيس الملائكة في القتال؛ وقد ثبت هذا في غزوة بدر؛ قال تعالى:{إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾} [الأنفال: ١٢]؛ نزل جبريل عليه السلام ومعه ألف من الملائكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان نزوله بمثابة ريح شديدة لم تر من قبل؛ فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو في العريش فقال: أبشر يا أبا بكر هذا جبريل قد أتى على فرس ومعه الملائكة. وقد رآه إبليس اللعين وهو نازل إلى بدر ففر من المعركة، وقال: إني أرى ما لا ترون.

ثانيًا: ومنهم ميكائيل؛ وهو صاحب الأرزاق، وهو ذو مكانة عالية ومنزلة رفيعة وشرف عند ربه عز وجل، وله أعوان يفعلون ما

يأمرهم به بأمر ربه، ويصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الله تعالى.

وقد جاء في بعض الآثار: ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يقررها في موضعها من الأرض، وفي حديث ابن عباس عند الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل:**"على أي شيء ميكائيل؟** ـ قال: على النبات والقطر، ولأحمد عن أنس بن مالك ☺ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لجبريل عليه السلام:**"ما لي لم أر ميكائيل ضاحكًا قط؟** ـ فقال عليه السلام: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار [1] عياذًا بالله تعالى منها.

ثالثًا: ومنهم إسرافيل؛ وهو صاحب النفخ في الصور (وهو قرن من نور ينفخ فيه إسرافيل، قال مجاهد كهيئة البوق)؛ ينفخ نفختان؛ **الأولى: نفخة الفزع** (وتسمى أيضًا نفخة الصعق)؛ قال تعالى:{وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾} [النمل: ٨٧].

الثانية: نفخة البعث؛ قال تعالى:{وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ} [الزمر: ٦٨]. قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن صاحب البوق اتكأ ينتظر الأمر بالنفخ فإذا نفخ صعق من في السماوات والأرض، ثم إذا نفخ النفخة الأخرى يكون البعث وتحيا الخلائق من جديد.

ولأحمد والترمذي من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد

(1) الحديث فيه إسماعيل بن عياش عن عمارة، وعمارة مدني، وبالتالي فالرواية مطعون فيها من هذا الوجه.

الخدري ☺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له؟** - قالوا: كيف نقول يا رسول الله؟ قال: قولوا:"**حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا** - [1].

وهؤلاء الثلاثة من الملائكة هم الذين ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه من صلاة الليل:"**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم** - [2].

رابعًا: ومنهم ملك موكل بقبض الأرواح (يسمى ملك الموت)؛ قال تعالى:{قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} [السجدة: ١١]، وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم مرة واحدة على صورته الحقيقية يوم المعراج، كاد النبي صلى الله عليه وسلم أن يصعق، وعند قبضه للروح يراه الميت على صورته الحقيقية.

وله أعوان يأتون العبد، إن كان محسنًا ففي أحسن هيئة وأجمل صورة بأعظم بشارة، وإن كان مسيئًا ففي أشنع هيئة وأفظع منظر بأغلظ وعيد، ثم يسوقون الروح حتى إذا بلغت الحلقوم فبضها ملك الموت فلا يدعونها في يده بل يضعونها في أكفان وحنوط يليق بها؛ قال الله عز وجل في كتابه العزيز:{فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ

(1) حسن بشواهده: أخرجه أحمد (ج 3 / 7).
(2) صحيح: أخرجه مسلم (ج 1 / 534).

نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾} [الواقعة: ٨٣ - ٩٦].

فهذه الأعوان من الملائكة هم الذين يساعدون ملك الموت في مهمته؛ قال الله عز وجل في كتابه العزيز: {وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} [الأنعام: ٦١]، وقال تعالى: {وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾} [النازعات: ١ - ٢].

قال علماؤنا: النازعات: الملائكة التي تنزع أرواح الكافرين بشدة.

والناشطات: الملائكة التي تنزع أرواح المؤمنين بنشاط ورفق ولين.

خامسًا: ومنهم المعقبات؛ وهم الموكلون بحفظ العبد في حله وارتحاله وفي نومه وفي كل حالاته؛ قال تعالى: {لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾} [الرعد: ١١]، وقال تعالى: {قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾} [الأنبياء: ٤٢]، وقال تعالى: {وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾} [الأنعام: ١٨].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية الأولى {لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ} [الرعد: ١١]: والمعقبات من الله هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله تعالى خلوا عنه.(1)

(1) ابن كثير (2/ 522).

قال مجاهد رحمه الله تعالى: ما من عبد إلا له ملك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه إلا قال له الملك: وراءك، إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه. وقال تعالى:{ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ} [الأنبياء: ٤٢].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: أي بدل الرحمن، يمتن سبحانه وتعالى بنعمته على عبيده وحفظه لهم بالليل والنهار وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام [1]

سادسًا: ومنهم الكرام الكاتبين؛ وهم الذين يراقبون أعمال العباد، وعندهم القدرة العجيبة على علم ما يقوله الإنسان من شر وخير؛ فيكتبونه ويحصونه؛ قال تعالى:{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾} [الانفطار: ١٠ - ١٢]؛ وقال الله عز وجل:{أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾} [الزخرف: ٨٠]، وقال الله تعالى:{إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾} [ق: ١٧ - ١٨]؛ فكل ما يقوله العبد ويتلفظ به يكتبونه؛ (أما حديث النفس فإن الله تعالى تجاوز عنه لهذه الأمة) ولذلك قال الله تعالى:{ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾} [الكهف: ٤٩].

وعن علقمة عن بلال بن الحارث المزني ☺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله – عز وجل – له بها رضوانه إلى**

(1) ابن كثير (ج 3 / 188).

يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه - فكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث.

سابعًا: ومنهم خزنة جهنم؛ وهم الزبانية (مأخوذ من الذبن، وهو الدفع؛ فهم يدفعون الكفرة وعصاة الموحدين في النار بشدة وغلظة)، وفي صحيح مسلم: يؤتى بجهنم يوم القيامة ولها سبعون ألف زمام، كل زمام في يد سبعين ألف ملك يجرونها " [1].

وعددهم تسعة عشر، قال الله عز وجل:{وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ٢٩ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا} [المدثر: ٢٧ - ٣١].

وقد أعطاهم الله تعالى من الخصائص ما يناسب مهمتهم؛ فهم غلاظ شداد؛ قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ} [التحريم: ٦].

ورئيسهم مالك خازن النار؛ قال تعالى:{وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧} [الزخرف: ٧٧].

قال علماؤنا أعزهم الله تعالى: كل الملائكة ابتسمت للنبي صلى الله عليه وسلم إلا مالك؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل: من هذا؟ فقال عليه السلام: هذا مالك خازن النار، ما ابتسم منذ أن خلقت النار.

(1) صحيح: أخرجه مسلم (ج 4 / 2184).

ثامنًا: ومنهم الموكلون بالنطفة في الرحم؛ كما في حديث عبد الله بن مسعود ☺ قال: " حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق (لأن الأمر يتعلق بالغيب؛ فناسب أن يقول ☺ الصادق المصدوق):"**أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بكتابة أربع كلمات: رزقه، أجله -** [1].

وقد جاء:"**أن الملك يقول: يا رب مخلقة أو غير مخلقة؟ أو توءم؟ ذكر أم أنثى؟ شقي أو سعيد؟ ما الرزق؟ ما الأجل؟ فيقضي- الله تعالى ما يشاء، فيكتب الملك كما أمره الله عز وجل فلا يغير ولا يبدل -** [2].

تاسعًا: ومنهم حملة العرش (الكروبيون)؛ وعددهم ثمانية أجزاء؛ قال الله عز وجل في كتابه العزيز:{وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾} [الحاقة: ١٧]، وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام " [3].

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: الكروبيون ثمانية أجزاء؛ كل جزء منهم بعدة الإنس والجن والشياطين والملائكة [4]

عاشرًا: ومنهم مَلَائِكَةٌ سَيَّاحُونَ يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ؛ فهم يتجولون في الأرض؛ فإذا وجدوا حلقة فيها علم وذكر لله تعالى تنادوا تعالوا

(1) أخرجه البخاري (ج 11 / 477) - باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه.
(2) أخرجه البخاري (ج 11 / 477) - باب القدر.
(3) صحيح: أخرجه أبو داود (ج 4 / 232) في الرد على الجهمية.
(4) انظر ابن كثير (ج 4 / 442).

إلى بغيتكم فيجلسون في هذه الحلقة ويحبونها ويتكاثرون عليها؛ قال صلى الله عليه وسلم : **وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وذكرهم الله فيمن عِنْدَهُ** (1).

وفيهم زوار البيت المعمور؛ وهو بيت في السماء السابعة بحيال الكعبة في الأرض لو سقط لوقع عليها، حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم؛ يعني: لا تحول نوبتهم لكثرتهم.

ومنهم الموكل بفتنة العبد في القبر (منكر ونكير)، ومنهم ملك للجبال، ومنهم ملك للشمس، ومنهم ملك موكل بالرياح، ومنهم...، وعدد الملائكة لا تحصى ولا تعد، ولكل ملك مهمة؛ فهذا ما ذكرناه على سبيل الاختصار حتى لا نطيل.

ويذكر أهل العلم أن من الإيمان بالله تعالى الإيمان بعالم الجن:

الإيمان بالجن ليس من أركان الإيمان، ولكن ذكر لنا ربنا الجن في كتابه العزيز؛ والإيمان بالكتاب ركن من أركان الإيمان، فيكون الإيمان بالجن داخل ضمن الإيمان بالكتاب، والجن مخلوق من نار؛ قال تعالى: {وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾} [الرحمن: ١٥].

وما عصي الله تعالى أبدًا قبل إبليس، ولذلك يستحق أعظم عقوبة؛ لأنه أول من بدأ المعصية، وهي الكبر، ولذلك قال أهل العلم: الكبر سبب كل المعاصي.

والجن مخلوق قبل الإنسان كما دلت عليه الآية الكريمة؛ قال الله

(1) صحيح: أخرجه مسلم (ج 4 / 2074).

عز وجل:{وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾} [الحجر: ٢٧]؛ وجه الدلالة من هذه الآية الكريمة أن الله تعالى بين فيها أمران؛ الأول: أن الجن خلقوا من نار السموم؛ والسموم جزء من سبعين جزء من نار جهنم. الثاني: أن الجن خلقوا قبل الإنسان.

ومن أحكام الجن ما يلي:

أولاً: يتناسلون؛ قال تعالى:{أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا } [الكهف: ٥٠]؛ وجه الدلالة من هذه الآية الكريمة أن الله تعالى بين فيها أن للشيطان ذرية.

وعن سلمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**"لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها، فيها باض الشيطان وفرخ -.**

قال العلامة محمد الأمين: وهذا يدل على أن للشيطان ذرية من صلبه[1].

قال القرطبي: وهذا يدل على أن للشيطان ذرية من صلبه [2].

ثانيًا: أنهم يأكلون؛ قال صلى الله عليه وسلم :**"لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون لحمًا -.**

ثالثًا: فيهم رجال وغير ذلك؛ قال تعالى:{وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾} [الجن: ٦].

رابعًا: أننا لا نراهم؛ قال تعالى:{إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ} [الأعراف: ٢٧]؛ فهذا نص صريح في أننا لا نراهم.

(1) أضواء البيان (ج 3 / 293).
(2) التفسير المنير للزحيلي (ج 15 / 276).

خامسًا: جمهور أهل العلم على أن الجن ليس من جنسهم نبي؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الإنس والجن؛ وقال بعض أهل العلم: يحتمل أن يكون من جنسهم رسل؛ قال تعالى:{يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠} [الأنعام: ١٣٠].

والصحيح: أن الرسل من الإنس؛ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: رسل الجن هم الذين بلغوا قومهم ما سمعوه من الوحي كما قال:{وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ} [الأحقاف: ٢٩].

سادسًا: منهم المؤمنون ومنهم الكافرون؛ قال الله تعالى:{وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ١٤} [الجن: ١٤]، والكفار منهم يطلق عليهم الشياطين، وكلمة الشيطان علم على إبليس، والشيطان هو كل متمرد على الله تعالى سواء كان من الجن أو كان من الإنس؛ قال الله عز وجل:{وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ١١٢} [الأنعام: ١١٢].

والجن الذي أسلم كان يظن أن ما قاله السفيه إبليس من الكذب على الله تعالى صحيح، ولكن لما عرفوا الحق باستماعهم للقرآن رجعوا عن ذلك؛ قال تعالى:{وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا ٤} [الجن: ٤]؛ أي: حسبنا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبًا؛ فلذلك صدقناهم في أن لله صاحبة وولدا (وهذا من الغلو في الكفر، وهو معنى قوله تعالى:{شَطَطٗا ٤} حتى سمعنا القرآن وتبينا به الحق.

قال علماؤنا: هذا من قلة عقلهم، قال العلامة ابن القيم: قدرتهم العقلية أقل من الإنس بكثير، حتى إن أعقلهم لا يزيد تفكيره عن تفكير طفل يبلغ عشر سنوات. وهذا من أسباب إيذاءهم للبشر؛ فقلة عقلهم جعلتهم يؤذون البشر بغير سبب.

وكانت الجن تصعد إلى السماء يتلقون ويستمعون ما يلقيه جبريل على الملائكة ثم تحدث به وتكذب حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم امتنعوا عن الصعود والسماع؛ فالجن كان عندهم القدرة أن يصعد بعضهم على بعض حتى يصلوا إلى السماء؛ فإذا سمعوا شيئًا أخبر الذي فوق من تحته بما سمعه ويزيده كذبًا وهكذا؛ فتصل المعلومة إلى الأرض ومعها مائة كذبة؛ فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم أصبح من يقترب إلى السماء احترق بالشهب؛ قال تعالى:{وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾} [الجن: ٩].

سابعًا: عندهم القدرة على التشكيل؛ فقد يتشكلوا في صورة حية أو كلب أسود.

ثامنًا: من أذيتهم الوسواس للبشر؛ فيلقون الوساوس فيهم فيفعلون الشر؛ قال تعالى:{ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾} [الناس: ٤]؛ أي: من شر ذي الوسواس وهو الشيطان، والوسوسة حديث النفس، والخناس؛ أي: يخنس إذا ذكر العبد ربه سبحانه وتعالى.

وقد ذكر الترمذي في نوادر الأصول أن الوسواس الخناس ابن لإبليس اللعين؛ جاء به إلى حواء وقال لها: اكفليه فقطعه آدم أربع أجزاء ووضع كل قطعة على شجرة ثم ناداه إبليس فحيي.. إلى أن

ذبحه آدم عليه السلام وشواه وأكله؛ فقال إبليس عليه لعنة الله تعالى: هذا ما أردت أن يكون في جوف ذريتك ليوسوس لهم [1].

رابعًا: من فوائد هذه القصة أنه ينبغي لكل مسلم يؤمن بالله تعالى أن يتحرى من الخبر؛ ووجه ذلك أن سليمان عليه السلام تحرى؛ قال الله تعالى على لسانه:{سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [النمل: ٢٧].

خامسًا: يجب على كل إنسان يخشى الله تعالى ويتقيه ويعلم علم اليقين انه ملاقيه ألا يقبل الهدية إذا كان فيها صد عن سبيل الله عز وجل؛ ووجه ذلك أن سليمان عليه السلام لم يقبل الهدية؛ وقال:{قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ} [النمل: ٣٦].

سادسًا: يجب على كل من يعرف الحق أن يتبعه؛ ووجه ذلك أن بلقيس ملكة سبا لما علمت أنها كانت على الباطل وعرفت الحق رجعت إليه هي وقومها؛ وهذا هو حال الشرفاء والنبلاء وأصحاب الفضل أنهم إذا علموا الحق اتبعوه.

وأذكر قصة بسيطة يستأنس بها في هذا الشأن (الرجوع إلى الحق).

كان أبو هريرة ☺ يفتي الناس أن من أصبح وهو جنب وطلع عليه الفجر ولم يغتسل من الجنابة فإنه يُحكم بفساد صومه، وأن عليه القضاء؛ فلما حدث أبو هريرة ☺ بذلك بلغ خبره إلى مروان بن الحكم - رحمه الله تعالى - فعجب من المسألة؛ فلما دخل عليه عبد الرحمن بن الحارث المخزومي - رحمه الله تعالى - سأله مروان أن يذهب إلى أم المؤمنين عائشة - رضي الله تعالى عنها - وأن

(1) قال علماؤنا: ولا نظن أن هذا الخبر يصح.

يسألها هل إذا طلع الفجر على الإنسان وهو جنب ولم يغتسل يُحكم بفساد صومه أولا، فذهب عبد الرحمن إلى أم المؤمنين وسألها فحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يفعل ذلك وأنه كان يطلع عليه الفجر ولم يغتسل من الجنابة، فلما رجع عبد الرحمن إلى مروان وسمع منه الحديث قال مروان لعبد الرحمن: والله لتفزعن بها أبا هريرة، وفي رواية: والله لتَقعرَن بها أبا هريرة، فكره عبد الرحمن ذلك، وقال: إنه جاري وإني أكره ما أكرهه؛ أي: أوجهه بما يكرهه.

فقال له مروان: أقسم بالله لتفعلن، وعزم عليه في ذلك، حتى جاء في بعض الروايات أنه قال له: الآن تذهب إليه؛ فلما تأخر عبد الرحمن قال له مروان: أوليس لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة - **وهذا مما يدل على فضل مروان من حرصه على السنة وتبين خطأ من أخطأ وبيان هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يعمل الناس بالقول المرجوح مع وجود القول الصحيح المأثور عن رسول الله** صلى الله عليه وسلم - فركب عبد الرحمن إلى أبي هريرة ☺، وكانت له مزارع بالعقيق وذي الحليفة، فانطلق حتى أتى أبا هريرة، وقال: يا أبا هريرة إن هناك أمرًا كرهت أن أواجهك به ولكن مروان أقسم علي أن أفعل ذلك. ثم حدثه بالحديث عن أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين أم سلمه - رضي الله تعالى عنهما - فلما ذكر الحديث لأبي هريرة ☺ قال: هكذا حدثني الفضل؛ أي: هكذا سمعت عن الفضل بن العباس ☺ مرفوعًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحكم. ثم قال له مباشرة: هل حدثتاك بذلك؟ فقال عبد الرحمن: نعم. فقال له أبو هريرة ☺ : هن أعلم برسول الله ☺، **ورجع أبو هريرة**

☺ **إلى قول أم المؤمنين عائشة وقول أم المؤمنين أم سلمه** - رضي الله تعالى عنهما -.

وفي هذا دليل على فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصهم على السنة وعظيم توفيق الله تعالى لهم؛ **فإن من دلائل السعادة والتوفيق انشراح الصدر للحق وحب الحق والحرص عليه،** فإذا رأيت الرجل يحب السنة وإذا رأيت الأمة من إماء الله تعالى تحرص على السنة فاعلم أن ذلك من دلائل السعادة وبشائر السعادة. فلما علم أبو هريرة ☺ بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه كان يفعل ذلك ولم يشدد فيه ولم يَعتبره موجبًا لفساد الصوم رضي بذلك وقال: هن أعلم برسول الله صلى الله عليه وسلم، وقوله هذا فيه دليل على فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإكرامهم لأهل العلم وإنزالهم لكل ذي منزلة في منزلته.

فهذا أبو هريرة ☺ الذي كان وعاء من أوعية السنة وديوانًا من دواوين العلم والعمل ومع هذا كله إذا وجد السنة عند غيره لم يستكبر ولم يستنكر من قَبولها والعمل بها والإذعان لها، وكذلك كان الصحابة ♦ يحفظون لأمهات المؤمنين ما كانوا عليه من العلم بالسنة؛ فكانوا إذا اختلفوا في شيء من السنة من أمور النبي صلى الله عليه وسلم في خاصة أهله وفي بيته رجعوا إلى أمهات المؤمنين، ولذلك كان عمر بن الخطاب ☺ إذا نزلت به النازلة أو المسألة في حكم شرعي يتعلق بهدي النبي صلى الله عليه وسلم في بيته أو مع حبه وأهله وزوجه رجع إلى أمهات المؤمنين كما في قصة الغسل من الإيلاج بدون إنزال.

فإن عمر بن الخطاب ☺ لما اختلف الصحابة في هذه المسألة

رجع إلى عائشة، وأمر السائل أن يسأل عائشة، فلما حدثته بالسنة قال: من خالف بعد ذلك جعلته نكالاً للعالمين؛ فقال له أبي بن كعب ☺ : على رسلك يا أمير المؤمنين أنا أخبرك لماذا كان هذا الخلاف؛ كنا في باديء الأمر لا غسل إلا من إنزال ثم بعد ذلك عزم علينا؛ فالواجب على من علم السنة واطلع عليها أن يحرص على العمل، وأن يحرص كذلك على الرجوع إلى من هو أعلم؛ فإن مروان من فقهه وعلمه وبصيرته لما قال أبو هريرة ☺ هذه الفتوى سأل من هو أعلم بمثل هذه السنة وهن أمهات المؤمنين - رضي الله تعالى عنهن -.

تمت القصة بعون الله تعالى

* * *